وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

- عامر دحو

إشراف الأستاذة:

ربيعة قريزة

نوقشت وأجيزت علنًا بتاريخ: 2020/09/20

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/	صالح بوسليم	جامعة غرداية	رئيسا
أ/	ربيعة قريزة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررًا
أ/	سعاد آل سيد الشيخ	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1440-1441هـ/ 2019-2020م

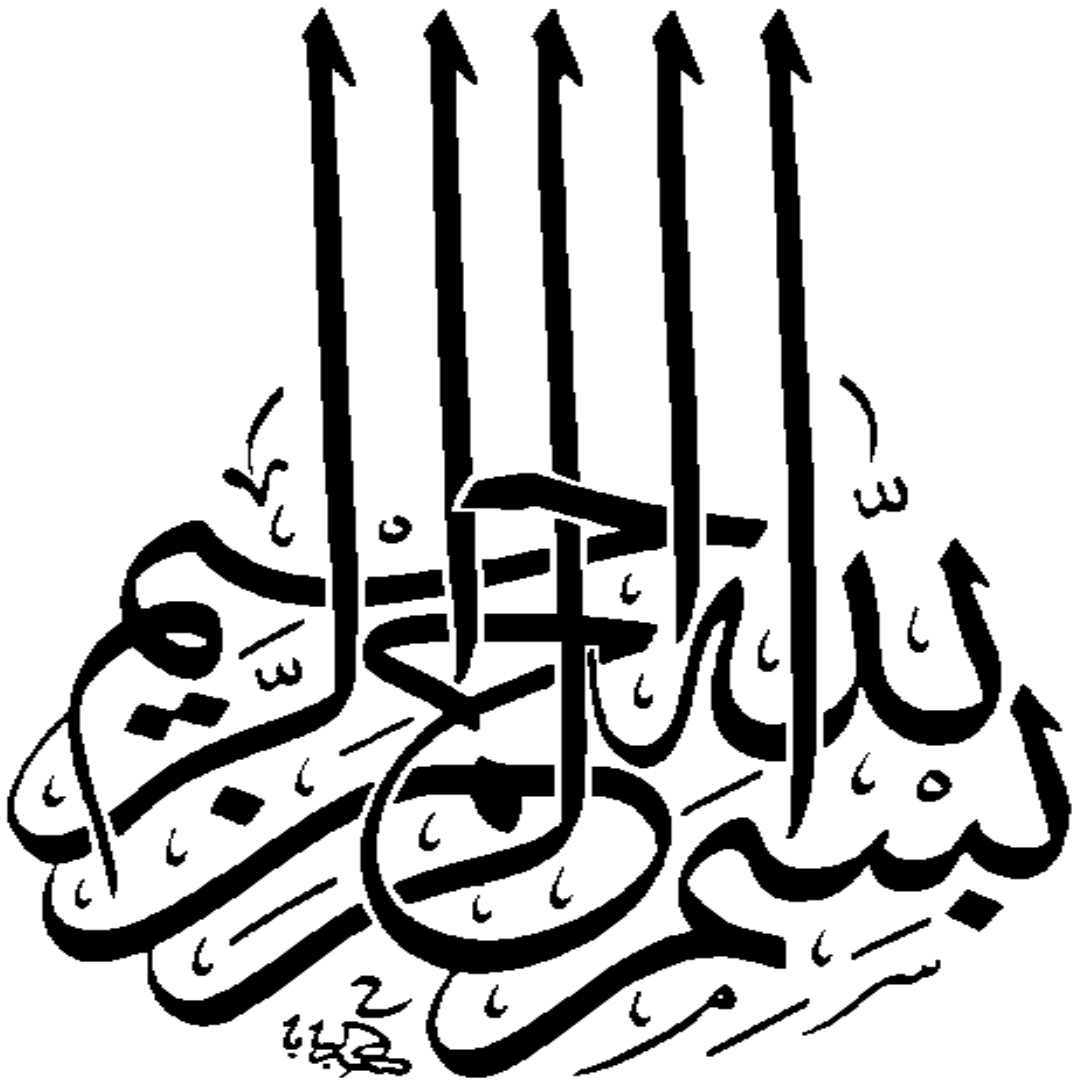
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

قال الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾

أهدي هذا العمل الذي أنجز بعون الله

إلى التي غمرتني بحنانها وضحت بكل شيء من أجلي،

إلى أمي الحبيبة والغالية التي لو أفديتها بعمري كله لما أرجعت لها ولو جزءا بسيطا من تعبها وحبها وجميلها ووفائها، أبقاها الله لي وأطال عمرها إن شاء الله

إلى أبي الذي رباني وسهر على، وحثني على طلب العمل، أزف إليه كل امتناني واحترامي أطال الله عمره إن شاء الله.

إلى أحب الناس إلى قلبي إخوتي وأخواتي كل واحد بإسمه

إلى زملائي في قسم التاريخ

إلى كل من سكن الصحراء الجزائرية على مر العصور

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

عامر

شكر وعرفان

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتنزل البركات، وبذكره تطمأن القلوب، وبرحمته تغفر الذنوب، والصلاة والسلام على المنارة المهداة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم.

وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

أتقدم بالشكر الخاص والجزيل لأستاذة المشرفة: ربيعة قريزة

على جهودها المبذولة ونصائحها القيمة وإثرائي بمكتبة من الكتب الورقية التي كانت سند في إنجاز هذا العمل.

كما نقدم بخالص الشكر للجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلِ أساتذتي في قسم التاريخ كل بإسمه وبجميل وسمه وخاصة أساتذة المغرب العربي الحديث.

قائمة مختصرات مستعملة:

1. المختصرات باللغة العربية:

تق وتح: تقديم وتحقيق

در وتح: دراسة وتحقيق

تح: تحقيق

ط: الطبعة

ع: العدد

ج: الجزء

مج: مجلد

ص: صفحة

ص– ص: صفحات متتالية

هـ: هجري

م: ميلادي

2. المختصرات باللغة الفرنسية:

P:**page**.

مقدمة

تكتسي الرحلات الحجازية أهمية كبيرة في تدوين تاريخ المجتمعات الصحراوية، فالرحلات الحجازية تركت لنا رصيد ثري من المعلومات التي رصدها الرحالة وشاهدوها، وأصبحت بذلك مصدر أساسي لكتابة تاريخ المنطقة، فتاريخ الصحراء الجزائرية مبني الروايات الشفوية في نقل الموروث التاريخي والثقافي للمنطقة، فهذا التاريخ يعتريه الكثير من الأساطير والخرافات التي أصبحت تاريخا لكثير من الناس.

فنقلت كتب الرحلات الحجازية الكثير من المعلومات نتيجة ما عاينوه من زيارتهم للحواضر الصحراوية، فجمعوا شتات الروايات الشفوية مع ما لاحظوه عن الحياة الثقافية والاجتماعية والإقتصادية، فشكلوا لنا بذلك مصدرا مهما يستخرج من بين ثناياه معلومات مهمة تساهم في كتابة تاريخ المنطقة.

نشطت الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية في القرنين (11-12هـ/18/17م) فتعددت وتنوعت مسالكها فحملت كتبهم الكثير من المعلومات الغزيرة حول المنطقة، فحاولنا من خلال كتب الرحالة تقديم صورة عن الحياة في مختلف مضامينها حول المنطقة، فكان موضوع المذكرة على الشكل التالي: "**الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)**".

الإطار المكاني والزماني:

فحاولت أن أحصر الإطار المكاني للصحراء الجزائرية في المسالك التي مر منها الرحالة، فقد زاروا حواضر ومدن ورصدوا لنا الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية في هذه الحواضر، وأغفلنا بعض الحواضر لأنها لم تكن في طريق الحج، ونقل لنا بعض الرحالة معلومات عنها حيث سمعوا عنها فقط، فنقلوا صورة مشوهة عن تلك المناطق مثل حاضرة بني ميزاب.

أما الإطار الزماني فلم يكن اختيار القرنين (11-12هـ/17-18م) اعتباطيا، لأن هذين القرنين شهدا موجة كبيرة من الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية، وهذا بعد تراجع المسلح البحري لكثرة نشاط القرصنة به، فكان المرور عبر الصحراء أمرًا ضروريا من أجل الذاهب إلى الحج خاصة الحجاج المغاربة.

دوافع اختيار الموضوع:

وقع اختياري لموضوع الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية نتيجة دوافع شخصية ذاتية، وأخرى علمية موضوعية أوجزها كالتالي:

- مواءمة موضوع الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية مع التخصص الماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث، فالصحراء جزء من هذا الفضاء المغاربي المشترك الذي يكتسي أهمية كبيرة تقل فيه الدراسات التاريخية؛
- الرغبة الشخصية في الإطلاع الحياة السياسية والاجتماعية في الصحراء الجزائرية، وخاصة أن تاريخ المنطقة غلبت عليه الأساطير والخرافات فأصبحت الحكايات الشعبية تغطي على تاريخ المنطقة؛
- الرغبة في الابتعاد عن المواضيع السياسية في إطار العلاقات والحروب وتاريخ الشخصيات السياسية والتطرق إلى التاريخ الثقافي والاجتماعي للشعوب وهذا انطلاقا من مقولة فولتر "**إني درست زهاء ثلاثة آلاف معركة وسير الملوك، اعتقد أني لم استفد شيئًا**"؛
- عزوف الزملاء الطلبة عن الدراسات التاريخية المحلية وإلى الدراسات المغربية والتونسية واعتقادنا الراسخ أن تاريخ المنطقة لا يكتبه إلا أبنائها؛
- محاولة منا في تدوين جانب مهم من التاريخ الوطني الجزائري لفترة مهمة وهي الفترة العثمانية، وخاصة في شقه السياسي الذي هو محل جدل كبير إلى يوم الناس هذا.

الإشكالية:

تسعى هذا الدراسة التاريخية إلى وصف الحياة في مختلف مضامينها للصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية خلال القرنين (11-12هـ/18/17م)، وذلك بالاعتماد على مصادر الرحلات المغربية والجزائرية، فكانت الإشكالية المطروحة على الشكل التالي: **كيف كانت الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية في الصحراء الجزائرية في القرنين (11-12هـ/17-18م) من خلال الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية؟.**

ولكي يتسنى لنا الإجابة على الإشكالية الرئيسية وجب علينا استعراض الجزئيات المتعلقة بالرحلات الحجازية وبالحواضر الصحراوية والتفاعلات الحضارية فيها، وذلك يكون عبر فصول الدراسة ومباحثها، فوجب علينا طرح عدة تساؤلات فرعية كانت على الشكل التالي:

- ما المقصود بالرحلة وأنواعها؟
- من هم أهم الرحالة الذين مروا على الصحراء الجزائرية خلال القرن (11-12هـ/17-18م)؟
- ماهي أهم الحواضر الصحراوية الجزائرية؟
- ماهي أهم المسالك التي كان يسلكها الرحالة في الصحراء الجزائرية؟
- فيما تكمن أهمية في الصحراء الجزائرية بالنسبة للقوافل الحجية؟
- كيف صور الرحالة الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية للصحراء الجزائرية؟

الخطة المتبعة:

افتتحت موضوع الدراسة بمقدمة، وقمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول، لكل فصل ثلاث مباحث وهذا فيما يخص الفصل الأول والثاني، أما الفصل الثالث فقسمته إلى أربع مباحث وذلك لضرورة الفصل، ففي الفصل الأول قمت بالتعريف بالرحلة ثم عرجت على أنواع الرحلات ثم أهم الرحالة الذين مروا على الصحراء الجزائرية، فدرست شخصيتهم ورحلاتهم، أما الفصل الثاني حاولت أن أعطي لمحة جغرافية واجتماعية لأهم الحواضر الصحراوية ومن ثم تطرقت إلى المسالك التي كانت

تسلكها القوافل الحجية، فأعطيت صورة عن المميزات والصعوبات التي تعتري الحجاج أثناء مرورهم عبر هذه المسالك، وكذا أهمية لدى الرحلات الحجازية، أما الفصل الثالث فتطرقنا إلى الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية ومن تم الثقافية في الحواضر الصحراوية، حمل هذا الفصل في طياته الكثير من العناصر، محاولة منا في إعطاء صورة واضحة عن الحياة بمختلف مضامينها في الصحراء الجزائرية في القرنين (11-12هـ/17-18م).

وفي الأخير كما هو منهجيا، ذيلت الدراسة بخاتمة التي هي حوصلة استنتاجات حول الموضوع محل الدراسة، ثم اتبعتها بقائمة ملاحق تسهم في رسم صورة حول الحواضر والمسالك التي مرت عليها القوافل الحجية.

أهمية الدراسة وهدفها:

- تكمن أهمية الدراسة في مدى الاعتماد على الرحلات الحجازية في كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية في غياب المصادر التاريخية التي تؤرخ للمنطقة؛
- محاولة تقديم دراسة أكاديمية علمية للبحثين والطلبة للاستفادة منها في دراسات مماثلة مستقبلا خاصة أن الدراسة من الدراسات المحلية المهمة من حيث إطارها الزماني الذي كرت وتنوعت فيه الرحلات الحجازية المارة عبر الصحراء الجزائرية، أما إطارها المكاني فهو الصحراء الجزائرية التي تقل فيها الدراسات الأكاديمية وذلك لعزوف الطلب عنها؛
- توضيح أن الصحراء الجزائرية ليست أرض جرداء قاحلة موحشة لكن هي فضاء واسع متنوع بتنوع واحاته وتنوع مجتمعاته وثقافاته، فهو عبارة عن تجانس ثقافي مفتوح على الآخر

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة حول الموضوع، لاحظنا أن معظم الدراسات التي اهتمت بتاريخ الصحراء في الفترة الحديثة جاءت على شكل دراسة نماذج، سواءً كانت هذه الدراسة لرحالة معين أو حواضر معينة، أو دراسة جوانب الموضوع من خلال مقالات تكلمت حول جوانب

معينة وأغفلت أخرى، فدرست مثلا أوضاع ثقافية وصفت مناطق معينة، فمن جملت الدراسات السابقة:

- "صورة الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني(رجالة أبي سالم العياشي نموذجًا") لمريم دهيمي، الدراسة عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث.جامعة المسيلة، 2019/2018م؛
- "توات من خلال كتابات الرحالة المغاربة ما بين القرنين (11-13هـ/17-19م)، لنجاة مغربي الدراسة عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة غرداية 2017/2016م؛
- "ملامح من الحياة العامة في الجزائر في بعض الرحلات المغربية خلال العهد العثماني"، مقال لـ"صالح بوسليم، ومحمد الزين" ضمن مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس؛
- "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مقال لـ"صالح بوسليم وبن قايد عمر"، ضمن مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة.

في الحقيقة توجد العديد من المقالات التي استخدمتها في المذكرة تخدم جوانب متفرقة.

منهج البحث المتبع:

نظرًا لاحتواء هذا النوع من المواضيع على معطيات معرفية مباشرة، وكذا كثرت الإشارات المحصلة للنقد والاستنتاج حاولت أن أجمع بين أداتين رئيسيين تندرجان تحت المنهج التاريخي وهما الأسلوب الوصفي والأسلوب التحليلي النقدي. فالأسلوب التاريخي الوصفي استخدمته في وصف الحواضر والمسالك وفي سرد حياة الرحالة والتعريف بالرحلات؛ أما الأسلوب التحليلي فقد وظفته في دراسة المادة العلمية التي تزخر بها مصادر الرحلات بحيث وقفنا عند تحليل ونقد نصوص الرحالة إزاء الحياة السياسية المتعلقة بتبعية بعض الحواضر الصحراوية الجزائرية للمغرب، أما عن الحياة الثقافية

فحاولنا الوقوف على بعض الظواهر الاجتماعية والثقافية وتوضيحها وشرحها والتعليق عليها من أجل مقاربة الحقيقة التاريخية.

تقديم المصادر والمراجع:

من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة:

1- رحلة أبو سالم العياشي (المسماة ماء الموائد: 1072هـ/1662م)، في جزئين، فهي تعتبر من أهم الرحلات الحجازية التي اعتمدت عليها في الدراسة من منطلقين فالأول أنها سلكت المسلك الجنوبي في ذهابه إلى الحج، وسلك الطريق العرضاني الأوسط في رجوعه من الحج، أما المنطلق الثاني أن رحلة العياشي كانت بمثابة بوصلة للرحالة الذين جاورا من بعده فكلهم تكلموا عن هذه الرحلة فأخذوا منها الكثير من المعلومات، نهيك أن أبو سالم العياشي حج ثلاثة مرات، فهو خبير بالصحراء الجزائرية وبمسالكها؛

2- رحلة حسين الورتلاني (1179هـ/1765م) والموسومة بـ: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحمل مادة غزيرة حول الأوضاع الثقافية والاجتماعية، استفدنا منها في الفصل الثالث، خاصة الشق الثقافي؛

3- رحلة ابن المليح المسماة: أنسح الساري والسارب (140هـ/1630م): والتي تعتبر من أوائل الرحلات في القرن السابع عشر، نقلت لنا معلومات مهمة عن الطريق الجنوبي، حيث سلكت هذه الرحلة طريق الركب الشنقيطي فقدمت معلومات هامة حل هذا الطريق؛

4- الرحلة الناصرية الكبرى (1126هـ/1782م) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري بجزئيها والتي استفدت منها كثيرًا في الفصل الثاني من خلال تعداد الحواضر الصحراوية والمعاطن المياه؛

5- رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1150هـ-1737م) المسماة: التوجه لحج بيت الله الحرام وزيرة قبره – عليه السلام-، والتي استفدنا منها كثيرًا في الجانب الإقتصادي والاجتماعي للحواضر الصحراوية ومعرفة طبيعة المسالك في الطريق العرضاني الأوسط؛

6- رحالة أحمد بن ناصر الدرعي (1710م): والتي استفدت منها في جانب معرفة معاطن المياه والوضع الاجتماعي في الصحراء الجزائرية وخاصة الكرم.

بالإضافة إلى رحلة محمد الطيب، الذي عُرف بمحمد بن موسى الفاسي المعروف بالشرقي، الذي استفدنا منها في بعض الجوانب الاجتماعية والإقتصادية في بعض الحواضر الصحراوية، ومن جملة المراجع التي استفدنا منها كثيرًا أطروحة دكتوراه لأحمد بوسعيد الموسومة بـ"الركب الحج الجزائري خلال العهد العثمانية (1518-1830م)، إشراف الأستاذ: محمد الصالح حوتية، التي استفدنا منها كثيرًا فكانت بمثابة بوصلة في البحث، خاصة أن فيها الكثير في الإضافات التاريخية حول الرحلات في الصحراء الجزائرية.

صعوبات البحث:

لا يخلوا أي بحث علمي من صعوبات وعراقيل، ومن أهم الصعوبات التي اعترضتنا نذكر:

- صعوبة الوصول إلى بعض المصادر والمراجع التي نراها مهمة وتخدم الموضوع في بعض جوانب الدراسة خاصة بعض الرحلات المحلية مثل رحلة عبد الرحمان التنلاني ورحلة المصعبي والرحلات الخاصة بالركب الشنقيطي المارة بالصحراء الجزائرية مثل رحلة الحاج البشير البرتلي؛
- تشعب المادة العلمية وصعوبة التحكم فيها، خاصة كتب الرحلات، حيث وجدنا فيها الكثير من الاستطراد، كما أنها تحتوي الكثير والعديد من الشخصيات في الصحراء الجزائرية والتي وجدنا صعوبة التعريف بها؛
- صعوبة حصر المادة العلمية خاصة أني درست 8 رحلات خلال القرنين (17-18م)، نهيك عن صعوبة التعامل مع نص الرحلة من ناحية الأسلوب واللغة وكثرة الكلمات الغامضة.
- العطلة الاستثنائية التي شهدتها الجامعة الجزائرية، خاصة أنها جاءت مع بداية شهر مارس اثر جائحة كورونا، الأمر الذي أثر جوهريا في هيكلة الدراسة وحرمنا من عدة مصادر ومراجع تعطي إضافة للموضوع، وكذا التواصل المباشر مع المشرف للتباحث حول جزئيات خاصة بالموضوع.

وفي ختام هذه المقدمة ما يسعني إلا أن أقول ما كان من توفيق فمن الله تعالى، وما كان من تقصير فمني حسبي إني اجتهدت وتقديم دراسة محلية.

الفصل الأول: الرحلة وأهم الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)

المبحث الأول: تعريف الرحلة

المبحث الثاني: أنواع الرحلات

المبحث الثالث: أهم الرحلات الحجازية في القرنين (11-12/ 17-18م)

ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالسفر الدائم والسعي في أرجاء الأرض، فتعددت الأغراض والدوافع والأسباب والغايات التي كانت تدفع الإنسان للسفر فعادة الترحال أصبحت متأصلة فيه "ولد الإنسان رحالة"، ولعل من أهم الأسباب والغايات التي تدفع الإنسان، وخاصة المسلم للسفر والترحال هو ذلك الدافع الديني المتمثل في أداء فريضة الحج، فالرحالة كثيرًا ما ينتقلون من أماكن عديدة، فيمرون على بوادي وحواضر فيولد لديهم انطباعات حول هذه المجتمعات، وتعتبر الصحراء الجزائرية التي يمر بها الحجاج قاصدين الحجاز من أجل أداء فريضة الحج، فشكلوا لنا صورة حول هذه الصحراء، فسنحاول أن نلقي الضوء على مفاهيم حول الرحلات وأنواعها وأهم الرحالة الذين كتبوا عن الصحراء الجزائرية في القرنين (11-12هـ/ 17-18م).

المبحث الأول: تعريف الرحلة

أولاً: الرحلة في اللغة:

الرحلة لغة هي الترحيل والارتحال، ويقال رحل الرجل إذ سار، فالرحلة نعني بها السير، أي الانتقال من مكان لآخر[1].

كما يعرفها ابن منظور في لسان العرب على أنها: "الرحلة في اللغة الترحيل والإرتحال بمعنى الأشخاص والارتحال، يقال رحل الرجل إذا سار"[2].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي "ارتحل البعيرُ: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا كتَرَحَّلُوا، والاسم : الرِّحلة والرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم: الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة"[3].

---

[1] قادة الأحمر وعبد الرزاق عطلاوي: (**التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية (1913م-1954م)**، **في مجلة آفاق فكرية**، مخبر الدراسات الفكر الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، مج03، ع07، 2017م، ص:243.

[2] ابن منظور الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، ج11، بيروت، ص:276.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2008م، ص:1005.

مما سبق ذكره نلاحظ تعدد تعاريف الرحلة من الناحية اللغوية في معاجم اللغة لكنها تجمع على أن الرحلة هي الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

ثانيًا: الرحلة في الاصطلاح:

الرحلة هي كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجًا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة أي كتابتها تتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لتدوين أحداث سفره، والرحلة نعني بها من خلال هذا المعنى هي كتابة وخطاب حال إشغال واهتمام الباحثين بها[1].

كما تعرف على أنها: انتقال واحد أو جماعة، أو عائلة أو قبيلة، أو أمة، من مكان إلى آخر بمقاصد مختلفة وأسباب متعددة ... وإن كان انتقال رجل أو جماعة لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية ... سميت برحلة[2].

وفي تعريف آخر للرحلة يعبر على أنها ساعدت على اكتشاف موطن الإنسان وأكدت للإنسان مدى انتشاره وتوزعه على سطح الأرض، ويقوم بها رجال دين وعلم ورحالة من هواة السفر والترحال، وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس[3].

1- دوافع الرحلة:

تتعدد وتختلف الدوافع التي تحث الإنسان على الرحلة، وهي تختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد آخر، ومن بين هذه الدوافع نذكر:

---

(1) جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف: محمد بن لخضر فورار، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014م، ص: 08.

(2) قادة الأحمر وعبد الرزاق عطلاوي: **المرجع السابق**، ص: 244.

(3) نجاة بن فاطمة ونجاة ناجي: **كتابات الرحالة حول الجزائر في الفترة الحديثة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد بن معيزة، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2018/2017م، ص:13.

أ- دوافع دينية:

يرتحل الناس لزيارة الأماكن المقدسة تلبية لفريضة الحج، وكذلك تطهيرًا للنفس من دنس الذنوب، وللسير على الصراط المستقيم وأملاً في المغفرة[1]، وكانت معظم الرحلات تتجه من المغرب إلى المشرق بسبب وجود الأماكن المقدسة فيه وكثرة العلماء، ومركز الخلافة فيه[2].

ب- دوافع علمية أو تعليمية:

ركز القرءان والسنة على الترغيب في العلم وبيان فضله، فشد الطلاب الرحلات [3]، وسافروا للاستزادة من العلم في مختلف أنحاء العالم في مجالات مختلفة كالفقه والطب والهندسة والعمارة، وقد قطع الكثير من الفقهاء والعلماء القفار والأنهار طلبًا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقيق من كلمة فيه[4]، وكان أول تدوين للرحلة العلمية للربيع بن سليمان لشيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة 204هـ، كما اشتهرت بعض الأسر بالشغف بالسفر لجمع الكتب، مثل أسرة بني موسى بن شاكر التي كانت مهتمة بطلب العلوم القديمة[5].

ج- دوافع سياسية:

والمتمثلة في الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول أخرى لتبادل الرأي والرسل، والهدايا أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدًا لفتح أو غزو[6].

---

(1) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، مدينة نصر، مصر، 2002م، ص: 19.

(2) حافظ محمد بادشاه: **الحجاز في أدب الرحلة العربي**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: كفايت الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان، 2011/2007م، ص:16.

(3) محمد ماكامان: **الرحلات المغربية (قXI- XIIهـ/ XVII – XVIIIم)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس اكدال، ط1، الرباط، المملكة المغربية، 2014م، ص21:.

(4) حافظ محمد بادشاه: **المرجع السابق**، ص:16.

(5) محمد ماكامان: **المرجع السابق**، ص ص: 21-22.

(6) حافظ محمد بادشاه: **المرجع السابق**، ص: 17.

د- دوافع سياحية ثقافية:

كانت الرحلة عند البعض سياحة ثقافية من أجل التعرف على أحوال المجتمعات وأساليب حياتها ومستويات ثقافتها وطبيعة بلادها وأشكال نظمها وتقاليدها وعاداتها الغريبة فيها، وقد سجل الرحالة في كتبهم كل ما شاهدوه، كما أن كتب الرحلات والجغرافيا تعد من المصادر المهمة لأي باحث يهتم بدراسة حضارات وثقافات مختلفة، فالدارس للحياة الإقتصادية والاجتماعية في أي عصر يجب الاعتماد على كتب الرحلات والجغرافيا كمصدر أولي، كما أن تصنيف ماداتها ودراستها بشكل معمق من شأنه أن يدفع بالدراسات التاريخية إلى الأمام[1].

بالإضافة إلى ذلك فإن الرحلة لعبت دورًا مهما في انتقال القيم الحضارية وانتشارها بين الأمم والشعوب منذ أقدم العصور وانفتاح بعضها على نظم البعض الآخر وتمازجها الحضاري والثقافي، كما أنها تعتبر وثيقة سوسيولوجية ومصدرًا لمعرفة الذهنيات والعقليات وتطورها عبر المكان والزمان[2].

كما يلاحظ أن جل كتب الرحلات قد مهدت الطريق، وأسهمت في الكشف عن جوانب مجهولة فيها فثمار الرحلة يتعذر حصرها ولاسيما إذا كان الرحالة متمتعا بقوة الملاحظة وشهوة التطلع، ويقظة الحواس والرغبة في التحصيل والتدوين والتسجيل[3].

---

[1] أحمد فعفاع: **المدينة العربية في كتب الرحالة الفرنسيين "تلمسان عند بول بورد أنموذجًا"**، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم الأدب العربي، إشراف: د. نجاة بوزيد، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم الجزائر،2014/2015م، ص:34.

[2] عمار سراح: (**صورة الدولة العثمانية في الرحلات المغربية خلال القرن 18م رحلة ابن عثمان المكانسي أنموذجًا**)، مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، مج06، ع13، 2018م، ص ص: 119- 120.

[3] عواطف بنت محمد يوسف نواب: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**، دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2008م، ص: 21.

وتأتي أهمية الرحلة التاريخية في أنها أساسًا قامت على التجربة والملاحظة المباشرة، فالرحالة قد اهتموا بالمسالك وقياس مسافات الطرق، فهم بذلك جغرافيون، فقد أودعوا في مدونات رحلاتهم الكثير من أخبار رحلاتهم، فوصفوا الطريق التي سلكوها وتسجيل المسافات التي قطعوها والمعالم التي شاهدوها[1].

وبهذا خرجت العديد من كنف الرحلات والتي كانت بمثابة وثائق تاريخية وشواهد صادقة لكتابة وتدوين التاريخ[2]، ومن هؤلاء الرحالة نذكر المقدسي، العبدري، ابن بطوطة والتجاني وغيرهم كثيرون.

ر- دوافع صحية: كالسفر للعلاج والاستشفاء ولإراحة النفس من العناء والتعب كالإرتحال إلى المناطق الريفية، وقد يكون الطاعون أو الموت سببا في ذلك[3].

ز- دوافع إقتصادية: وهذا من خلال الدور الذي لعبه العرب كوسطاء في التجارة بين المشرق المتمثل في الصين والهند وفاس وبين الغرب الممثل في سوريا ومصر وروما، حيث اجتاز التجار الأوائل حدود البلاد الإسلامية، فمهدوا طريق البحث للرحالة المسلمين وسعوا في نشر الإسلام في كثير من الأقطار مثل اندونيسيا وأقاليم من الفلبين والصين[4].

ومما سبق ذكره نستخلص أنه مهما تعددت دوافع الرحلة فإنها سلوك إنساني حضاري له دور إيجابي في تطور الفرد والمجتمع على حدًا سواء وهذا ما يلخصه البيت التالي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم، و اكتساب معيشة وعلم وآداب ، وصاحب ماجد

---

[1] عواطف بنت محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص: 22.

[2] محمود قمبر: **الرحلة العلمية وقيمتها التربوية**، قسم أصول التربية، د ط، قطر، د ت، ص: 186.

[3] حافظ محمد بادشاه: **المرجع السابق**، ص: 17.

[4] محمد ماكامان: **المرجع السابق**، ص: 23.

2- أهمية الرحلة:

تتيح الرحلة للحجاز مثال في سبل التواصل العلمي والاجتماعي بين الحجيج المغاربة وبقية المجتمعات الشرقية الأخرى، فيها متسع من الوقت للتعرف على نشاط أهلها الاجتماعي والعلمي كما أنها تتيح لأهل هذه المناطق أيضًا مجال أكثر لمعرفة من يركب الحج المار بهم من علماء وشخصيات يستحق التعرف إليها والاستفادة منها، أما من الناحية العلمية المتميزة، وإما لصلاحها وبهذا يتم التواصل[1].

كما تعتبر من شروط اكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ بشد الرحال إليها، وصارت مكانة العالم تقاس باتساع رحلاته وكثرة شيوخه الذين أخذ عنهم[2]، كما لكتب الرحلات مكانة كبيرة في الحياة الثقافية فهي تحوي على معلومات تاريخية هامة، فالرحالة يدونون ما يشاهدونه من الحالة الدينية والجغرافية والعمرانية والأسواق والمكتبات[3].

كما تشكل مصدرًا لأي باحث يهتم بالحضارات والثقافات المختلفة، فالدارس للحياة الإقتصادية والاجتماعية في أي عصر تمر بالضرورة على كتب الرحلات لأنها قائمة على المشاهدة والمعاينة، فهي تقترب من الواقع المواد دراسته، فتصنف في شكل معمق من شأنه أن يدفع بالدراسات التاريخية إلى الأمام[4]، فهي بشكل عام تعتبر ثروة معرفية كبيرة ومخزنا للقصص والظواهر والأفكار فهي مكسب ولها قيمة علمية كبيرة في التراث الإسلامي[5].

---

(1) وليد زوهري: (أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة دراسة وصفية تحليلية)، **في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**، ع1، الجزائر، جوان 2012م، ص: 155.

(2) صدوق الحاج: (أسباب الرحلات المغاربية للحجاز إبان القرن 2هـ/18م)، **في مجلة المعارف للبحوث**، جامعة الجزائر، ع10، 2017م، ص:207.

(3) عجناك بشي يمينة: **أدب الرحلة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن 18م**، نخلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار نموذجاً، مجلة بحوث الوادي، ع11، 2017م، ص: 15.

(4) أحمد فغاغ: **المرجع السابق**، ص:34.

(5) زكي لامعة: (الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي (مفهوم الدوافع والأنواع) ، **مجلة كان للدراسات التاريخية**، مصر، ع22، ديسمبر 2013م، ص:160.

المبحث الثاني: أنواع الرحلات:

كانت الرحلة عنصرًا قويا في الحياة لذا تعددت أنواعها تبعًا للأغراض والدوافع والأسباب والغابات التي كانت تقام من أجلها، فتم تصنيفها كالتالي:

أولاً: رحلة الحج:

وكان الغرض منها السفر والجوال قبل الإسلام إلى اعتباره فريضة دينية، فالحج ركن من أركان الإسلام، وكان الغرض منها أداء فريضة الحج[1]، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2].

ثانيًا: رحلة طلب العلم:

تعددت بتعداد أنواعها فكان القصد منها أو الغرض أداء المناسك أو الفريضة أو الجهاد في سبيل الله، فقد أشار القرءان إلى الرحلة العلمية في رحلة موسى –عليه السلام- ولقائه الرجل الصالح الخضر – عليه السلام- واصطحابه لغرض التعلم[3]. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[4].

ثالثًا: الرحلة الإقتصادية:

حيث كانت التجارة الدافع الأساسي للعرب منذ القديم للقيام برحلات خاصة بعد تطور الحياة الإقتصادية للعلم الإسلامي، إذ تعدى نطاق التجارة إلى دول أخرى، وقد يرتحل الإنسان لغرض

---

(1) زوبيدة برداع وفتيحة عيساوي: **أدب الرحلة في الجزائر رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب والحال أنموذجًا**، إشراف: ا.د. ليلى مهدان، جامعة الجيلالي بونعامة – كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2016/2015م، ص:37.

(2) سورة آل عمران، الآية 97.

(3) زوبيدة برادع وفتيحة عيساوي: **المرجع السابق**، ص: 37.

(4) سورة الكهف، الآية 97.

كسب القوت وممارسة بعض المهن، أو لغرض إعانات من دول شقيقة والتخلص من الديون[1].

رابعًا: الرحلات الرسمية:

مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية أدى هذا إلى تعدد علاقاتها السياسية، فعلى أثرها ظهرت هذا النوع من الرحلة من قبل الحكام والأمراء، فضمت كل من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية[2].

خامسًا: الرحلة الاستطلاعية:

يسمى هذا النوع أيضًا بالرحلات الاستكشافية أو السياحية لكي تكون غايتها الوقوف على الأماكن، وجوب الآفاق والتعرف على عادات الشعوب وتقاليدها والتوقف في المدن الرئيسية بالمشرق العربي كالقاهرة ودمشق والقدس ومكة والمدينة المنورة والعواصم الإسلامية كإستانبول وأصفهان وغيرها[3]، وقد يستغرق أصحاب الرحلة الاستطلاعية شهورًا أو سنوات، وهم يدونون ما شاهدوه، ومن نماذج الرحلات الاستطلاعية نذكر رحلة الحسن بن محمد الوزان الفاسي خلال القرن 16م، المسماة بوصف إفريقيا[4].

---

(1) زوبيدة برداع: **المرجع السابق**، ص: 39.

(2) **نفسه**، ص: 40.

(3) محمد قرود: **الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاثة نماذج: (أحمد المقري، عيسى الثعالبي، يحي الشاوي)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، د. مختار حساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2010/2009م، ص: 70.

(4) **نفسه**، ص: 70.

المبحث الثالث: أهم الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/ 17- 18م)

أولاً: الرحلة العياشية، (ماء الموائد): (1090هـ/1679م):

1)مولده ونسبه: هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، المكنى أبو سالم[1]، ينتسب إلى قبيلة آيت عياش البربرية القاطنة بنواحي سجلماسة جنوب غرب المغرب الأقصى[2]، فيقال للواحد منهم بلغتهم فلان أعياش نسبة للقبيلة، ولد العياشي سنة (1037هـ/1627م) [3]، كان أبوه شيخ زاوية وهو الذي أشرف على دراساته الأولى، ثم انتقل العياشي إلى زاوية درعة، وتتلمذ على يد محمد بن ناصر، ثم عاد إلى فاس، حيث أكمل تعليمه على يد مشائخ مثل عبد الرحمان بن القاضي، وعبد القادر الفاسي، الذي أجازه سنة (1063هـ/1653م)، توفي العياشي بالطاعون سنة (1090هـ/1679م)[4].

2) **مؤلفاته:** من مؤلفاته رحلته التي دونها في مجلدين، تعرف بالرحلة العياشية، وسماها "ماء الموائد" وله أيضًا "إظهار المنة على المبشرين بالجنة" منظومة في البيوع وشرحها، وتنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، وكتاب الحكم بالعدل، والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين علماء سجلماسة من اختلاف في مسألة التقليد[5]، وتأليف في معنى "لو" الشرطية ورفع الحجر على الإفتداء بالإمام الحجر (القسطلاني، شارح البخاري)، واقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر[6]،

---

(1) بعلي حفناوي: **الرحلات الحجازية المغاربة (المغاربة الأعلام في البلد الحرام)** ، دار اليازوري، الأردن، 2018م، ص: 128.

(2) أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص: 466.

(3) موسى شرف: (أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نماذجًا)، **في مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزيعة، الجزائر، ع07، 2007م، ص: 84.

(4) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 129.

(5) **نفسه**، ص: 129.

(6) عبد الكريم بناهض: (التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال رحلة العياشي)، **في مجلة الذاكرة**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع10، يناير 2018، ص:59.

وله في المدائح النبوية الكثير كالمضربات في إصطلاح الوتريات، وكنز الرواة "سند عيسى الثعالبي" الذي جمعه تلميذ العياشي، وروى عن شيخه عيسى الثعالبي، وروى عن العياشي خلق كثير في المغرب والمشرق وفي الشام والحجاز والقدس ومنهم: الشمس محمد بن الطيب الشرقي الفاسي المدني، المتوفي سنة 1170هـ، وآخر من عاش بالمغرب من الرواة عن العياشي المعمر الشمس بن عبد السلام بناني، المتوفي سنة 1163هـ، وروى عن العياشي العلامة أبو عبد الله محمد بن العباس بن مبارك الشرادي، دفين زاوية آل العياشي[1].

3) مضمون رحلة العياشي: تندرج رحلة العياشي ضمن الرحلات الدينية (الحجازية)، ذلك أنه توجه إلى بيت الله الحرام ثلاث مرات: أولها كانت عام 1059هـ، وكانت ثانيها عام 1064هـ بينما كانت الثالثة عام 1072هـ، وتعتبر رحلة ضخمة إلى المشرق ثم العودة منه، وتعد بمثابة موسوعة علمية جامعة، لأنها جمعت شتى أنواع المعرفة وفنون العلم[2]، كما أن رحلة العياشي الموسومة "بماء الموائد" تتضمن إفادات نافعة عن الجزائر ومنازل الحجيج بها، وقد كتب ذلك في طريقه إلى الحج وأثناء عودته إلى المغرب الأقصى مرورًا بالجزائر[3]، أما مسار الرحلة، فلقد انطلق العياشي من سجلماسة بالمغرب الأقصى دخل (وادي غير) عام 1662م، ثم بني عباس القريبة من بشار، ومن بعدها وصل القليعة وورقلة وتماسين وتقرت حتى وصل إلى مدينة نفطة في المغرب الأدنى المحاذية لوادي سوف، وفي طريق عودته عرج على زريبة حامد من ولاية بسكرة إلى غاية سيدي عقبة، ولكنه لم يدخلها لوجود وباء الطاعون [4]؛

---

(1) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 129.

(2) محمد محمودي: (صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي)، **في مجلة الحضارة الإسلامية**، وهران، مج16، ع27، 2015م، ص: 219.

(3) صالح بوسليم ومحمد الزين: (ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني)، **مجلة الحوار المتوسطي**، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، ع9 و10، سبتمبر 2015م، ص: 83 .

(4) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 129.

وفي 22 مارس 1663م دخل العياشي مدينة بسكرة[1].

ومن الجنوب الجزائري مر بالجنوب التونسي فطرابلس فالقاهرة فالحرمين الشريفين، ثم انتقل بعد ذلك إلى أهم المدن الشامية غزة، الرملة، بيت المقدس، الخليل[2]، أما عند العودة فمر على سيدي عقبة وبسكرة وقرية أمليلي وأولاد جلال، فالأغواط ثم وصولاً إلى فقيق، والجدير بالملاحظة أن العياشي خالف غيره من الرحالين في اتجاه رحلته، الذين كانوا قد سلكوا طريق البحر، فإن العياشي سلك طريق الصحراء وجاب الواحات عبر اتجاهين: الأول شمالي جنوبي حتى توغل في الصحراء إلى واحات توات مسايرًا وادي قير ووادي الساورة ووادي طمغاوب، أما الثاني فكان شماليًا شرقيًا، من أوقرت إلى الدغامشة إلى القليعة إلى ورقلة ثم إلى تماسين وتقرت، وسبب اختيار هذا المسلك يعود إلى وفرة الماء والكلأ وكثرة الواحات، مصورًا في كل ذلك جغرافيتها الوعرة وعادات ناسها وطباعهم، وأوليائها الصالحين[3].

فقد كان مسار الرحلة حسب المخطط التالي[4]: انطلاق الرحلة من بلد المؤلف صبيحة يوم الخميس أول يوم ربيع الثاني عام 1072هـ/1661م. وكانت محطة الوصول يوم الأربعاء ظهرًا السابع عشر شوال من سنة 1074هـ.

---

(1) كلثوم وصيف عثامين: **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره (1514-1575م)**، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: معاذ عمراني، جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2018/2017م، ص44.

(2) عبد الكريم بناهض: (البنية الزمنية للرحلة العياشية ماء الموائد)، **في مجلة إشكالات**، معهد الآداب واللغات، مركز الجامعي تمنغست، ع12، الجزائر، ماي 2017م، ص175.

(3) محمد محمودي: **المرجع السابق**، ص221.

(4) أبي سالم العياشي: **رحلة العياشي الحجية الصغرى الموسومة بـ تعداد المنازل الحجازية أو التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز 1068هـ/1658م**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص ص10-11.

فمسار رحلة العياشي والأماكن التي زارها تثبت حرصه الجلي على زيارة الأماكن المقدسة ومراكز العلم المختلفة، فبالتالي ضمت رحلته قدرًا كبيرًا من الفوائد على غرار زيارة الأضرحة والتبرك بها، بالإضافة إلى طلب العلم والحصول على الإجازات المختلفة، هذا ما أضفى للرحلة قيمة ومكانة هامة خاصة في مادتها الواقعية من خلال وصف طرق القوافل من المغرب إلى مكة مع توضيح وافٍ للمنازل المختلفة، كما ذكر العياشي في رحلته تفاصيل تمكن من تبيان الحد الذي يفصل بين الأراضي الصحراوية والأراضي الصالحة للزراعة[1].

ثانيًا: الرحلة الورثلانية: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لصاحبها حسين الورتلاني:

1) مولده ونسبه:

هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف بن علي البكاي البجائي الحسني، من شرفاء تافيلالت الورثيلاني (نسبة لبني ورثلان)، وهي قبيلة أمازيغية بمنطقة بجاية ببلاد زواوة في المغرب الأوسط[2].

ولد حسين الورثيلاني عام 1125هـ/1713م، ونشأ في قبيلة بني ورثيلان بالقبائل الصغرى، فأبوه أتى من ميلة وصاهر أسرة محمد شقران، صاحب منطقة فنزات[3]، ويؤكد الورثيلاني على نسبه الشريف بقوله: "ومنهم الولي الصالح جدنا سيدي أحمد الشريف نسبًا، إذ تبث ذلك وهو الشريف

---

(1) عبد الكريم بناهض: **القيمة اللغوية للرحلات المغاربي الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي "رحلة العياشي أنموذجًا"**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف د: عبد الحكيم والي داده، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، 2018/2017م، ص: 144.

(2) عبد القادر بكاري: **منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثمانية (1519–1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: د/ دحو فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015م، ص: 196.

(3) ابتسام تيطوم: **صورة البلاد العربي من خلال نماذج من الرحلات الجزائرية خلال العهد العثمانية (1519–1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، إشراف: د/ أبو بكر الصديق حميدي، علية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2019/2018م، ص: 31.

الحسن، والذي سمعناه من أعالي أسلافنا أنه من شرفاء تفلالت، وأما مقره ومقر أوائله فمن بجاية، وجدنا هذا نجل الشيخ سيدي علي البكاي وكانت له زاوية عظيمة ..." [1].

نشأ الورثلاني فقيرًا، وعاش زاهدًا، سالكًا طريق التقشف الصوفي، وكان شديدًا مع الجهلة والمتعصبين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ليله قائم ونهاره صائم، هذه صفات استمدها من أسرته المشهورة بالعلم، حيث أخذ مبادئ العلم وحفظ القرآن الكريم وهو صغيرًا بالمدرسة القرآنية التي كان أبوه قيما عليها، ثم قصد العديد من الزوايا خارج بلدته، فأخذ الفقه والنحو عن المشايخ، وكذا التوحيد والتصوف ونال حظاً من اللغة والأدب والتاريخ[2]، وعندما استنفذ ما عند شيوخ القرية من العلوم والمعارف شد الرحال إلى غيرها داخل الجزائر ثم خارجها فزار بجاية، الجزائر وتلمسان وملیانة والبليدة ودلس وجبال زواوة والمسيلة وبسكرة وسيدي عقبة وسيدي خالد وتبسة وقسنطينة وعنابة للتبرك بالأولياء الصالحين وكذا الاستزادة بالعلم[3]، فأصبح بذلك من المدرسين وشيخ زاوية الأسرة، فكان يذهب للتدريس في بجاية وغيرها فتخرج على يديه عدد كثير من التلاميذ[4].

ومن أهم شيوخه: من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم بوطنه هم[5]:

- والده محمد السعيد الذي حفظه القرآن الكريم.
- الشيخ امحمد بن يحي
- الشيخ أحمد بن عمر

---

(1) الحسين بن محمد الورثيلاني: **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص: 100.

(2) العمري بلاعدة: (الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورثلانية أنموذجًا)، **في مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية**، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ع2، 2016م، ص ص: 124- 125.

(3) ابتسام تيطوم: **المرجع السابق**، ص: 32.

(4) **نفسه**، ص: 32.

(5) عبد القادر بكاري: **المرجع السابق**، ص: 199.

- الشيخ الحسين بن أعراب
- الشيخ أحمد ابن باباس الفليسي
- الشيخ أحمد بن عمر التدليسي.

أخذ عن هؤلاء الفقه والنحو والأدب، كما تتلمذ على شيوخ آخرين في مناطق متفرقة من وطنه نذكر منهم: الشيخ الموهوب والشيخ أحمد بن عبد العظيم والعلامة الفاضل علي بن أحمد ذو الطريقة الناصرية الشادلية الذي تعلم الألفية عليه[1].

2) مضمون الرحلة:

تعتبر من أشهر وأهم مصنفات الورثلاني، فقد كان هذا الأخير يسجل أثناء رحلاته الثلاث المذكورة سابقًا كل ما يشاهده أو يسمع به أثناء فرصة استراحة القافلة في دفاتر وأوراق على شكل مذكرات وتقييدات حتى لا تفلت منه المعلومات، وبعد عودته إلى الجزائر أخذ في كتابة الرحلة وترتيبها حتى انتهى من تدوينها ونسخها ضحى الاثنين الفاتح من شعبان عام (1182هـ/1769م)[2].

تعتبر الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار من أهم الرحلات الجزائرية الحجازية سنة 1179هـ/1766م، تضمنت العديد من الأخبار (السياسية، الإقتصادية والثقافية) [3]، توجد كاملة في ثلاث نسخ منظومة لخطوط مغربية مختلفة، ونسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس، وهي النسخ التي اعتمدها محمد بن أبي شنب قام بتصحيحها وإخراجها سنة 1908م [4].

---

[1] عبد القادر بكاري: **المرجع السابق**، ص: 199.

[2] العربي بلاعدة: **المرجع السابق**، ص ص: 126- 127.

[3] حمزة بكري: (ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسن الورتلاني وعبد الرحمان المجابي)، **في مجلة عصور الجديدة**، مج10، جامعة وهران، ع1، مارس 2020م، ص:300.

[4] ابتسام تيطوم: **المرجع السابق**، ص: 34.

لم يكتب الورثلاني رحلته بيده ولكنه أملاها على تلاميذه، لذلك تعددت نسخها، فقد خرجت إلى الطبع مع تعليقات بن مهنا القسنطيني سنة 1321هـ/1903م بحاضرة تونس، ثم نشرها وقام بنشرها لأول مرة محمد العربي بن أبي شنب سنة 1229هـ/1908م بمطبعة بيرفونتانا الشرقية بالجزائر، وأعادت مطبعة دار الكتاب العربي بيروت طبعها للمرة الثانية سنة 1394هـ/1974م وهي عبارة عن موسوعة وصف فيها الدول والمدن، والمناطق وأهلها، وعلمائها وعاداتها التي مر بها في رحلاته التي حج فيها ثلاث مرات[1].

أما من شيوخه خارج الوطن نذكر منهم[2]: الشيخ عبد الرحمن ابن الصباغ الجزائري (ق 9هـ/14م) والشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ السكندري المصري المالكي (ت 1162هـ/1749م).

- الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت 1189هـ/ 1775م).
- أبو حفص عمر بن علي بن يحي الطحلاوي المالكي المصري (ت 1181هـ/ 1768م).

وقد أجيز الورثلاني من طرف هؤلاء المشايخ إجازة العلوم العقلية والنقلية، وبعضهم أجازه بأوراد الطريقة الشاذلية.

- حج الولاثلاني ثلاث مرات الأولى كانت سنة 1153هـ، والثانية سنة 1166هـ والثالثة سنة 1179هـ، هذه الأخيرة التي دون فيها رحلته[3].
- توفي الورثلاني – رحمه الله- سنة 1193هـ/ 1779م، بمسقط رأسه في بني ورثيلان ودفن في مقبرتها، وما يزال قبره قائمًا يزوره الناس ويتبركون به[4].

---

(1) عبد القادر بكاري: **المرجع السابق**، ص: 205.

(2) **نفسه**، ص ص: 200- 201.

(3) حبيب بوزوادة: (المضامين العلمية في الرحلات الحجازية الجزائرية -رحلة الورثيلاني أنموذجاً)، **في مجلة آفاق فكرية**، مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ع4، مارس 2018، ص: 61.

(4) عبد القادر بكاري: (حسين الورتلاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، **مجلة الناصرية للدراسات**، جامعة معسكر، مج8، ع1، جوان 2017م، ص: 44.

ج) آثاره:

ترك الورثلاني مصنفات عديدة ومفيدة معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد منها: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار؛ شرح القدسية لعبد الرحمن الأحضري في التصوف؛ حاشية على كتاب المرادين؛ شرح على خطبة الصغرى للسنوسي؛ شرح على وسطى الإمام السنوسي؛ شرح على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكريا لتلمساني؛ حاشية على السكتاتي التي وضعها على شرح السنوسي؛ قصيدة ميمية في 500 بيتا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم؛ رسالة في حل اللغز الذي أرسله الشيخ أحمد بن يوسف الملياني إلى علماء فاس[1].

اعتمد الورثيلاني في هذه الرحلة إضافة على ما شاهده وما سمعه على مصادر متنوعة أمها احمد بن ناصر الدرعي ونبذة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان[2] وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة[3]، بالإضافة إلى رحلة العبدري والعياشي، وابن رشد والمقريزي والبكري، وكان الورثيلاني كثيرًا ما ينقل منها نقلاً حرفيا طويلاً، تارة منسوبًا إلى صاحبه وتارة غير منسوب، كما أخذ عن مصادر أخرى في الفقه والتصوف والتوحيد تجاوزت الثلاثمائة مصدر[4].

وقد أشار الورثلاني إلى الهدف من تدوين رحلته، وهو وضع تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء، وذكر أوصافهم، ليفتدي بهم عامة الناس، ويتعرفوا على آثارهم، ومن جهة أخرى فهو يريد أن يحدد معالم طريق الحج ومسلكها في الصحراء، مبينا الأماكن السهلة والوعرة[5]، من حيث المياه

---

(1) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 399.

(2) عدنان رودي: (بلاغة ووصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورتلاني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار")، **مجلة الخطاب والتواصل**، المركز الجامعي، عين تموشنت، ع1، 2018م ص: 60.

(3) عبد القادر صحراوي: (الورتلاني مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار)، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة سيدي بلعباس، ع9 و10، أفريل 2019م، ص: 107.

(4) ابتسام تيطوم: **المرجع السابق**، ص ص: 36- 37.

(5) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 396.

والمؤونة، والأمن ليتبصر من بعده الحجاج، كما احتوت الرحلة على مادة خبرية غزيرة عن صحراء الجزائر، في الباحثين الجغرافية والتاريخية، حيث ترك لنا الورثلاني معلومات هامة، وشهادة تامة عن الأحوال الاجتماعية والإقتصادية والثقافية، والسياسية والدينية عن مجتمع الصحراء[1].

ضمت الجغرافي للبلاد العربية من الناحية الطبيعية والسرد التاريخي للأحداث والوقائع البشرية عبر العصور، أما المحور الثاني فهو ترجمة العديد من العلماء والأولياء الصالحين الأحياء منهم والأموات[2].

أما عن مسار الرحلة فقد خرج الورثلاني يوم الخميس من مسقط رأسه بني ورثلان قاصدًا الحج، وصحبه في قصده إلى الديار الحجازية نفر كثير بلغ الثلاثمائة بين رجل وامرأة من جميع الطبقات والجهات بما فيهم عائلته، وبعد ما تزودوا بما يحتاجون إليه من جهاز ومراكب وملابس وخبراء الطريق قصد الورثلاني ومن معه زمورة وقصر الطير ثم الوجلة في أرض الحضنة لأولاد دراج ثم بريكة ومدوكال ثم بسكرة وطولقة، وبعدها عادوا إلى بسكرة للتزود وقضاء الحوائج ثم نزلوا إلى سيدي عقبة[3] ثم خنقة سيدي ناجي، ثم توزر وقابس، وبعد ذلك تابعوا سيرهم على الساحل الليبي متوقفًا بطرابلس وبرقة، كما وصف الورثلاني مصر وأهلها وعلماءها وعاداتها[4].

وقد اهتم الورثلاني في جميع المدن التي كان يحل بها بوصفها ووصف مساجدها وقبور الأنبياء والصحابة والصالحين والأئمة المشهورين، والآثار المعروفة، والأودية والجبار والآبار وغيرها، كما كان حريصًا على الإتصال بالعلماء والأخذ من هؤلاء العلماء، وعني في مصر وغيرها من البلاد التي حل

---

(1) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 396.

(2) ابتسام تيطوم: **المرجع السابق**، ص: 35.

(3) عائشة دباح: (الرحلة العلمية وأثرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات رحلة حسين الورتلاني أنموذجا)، **مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ع8، 2017م،ص: 53.

(4) العربي بلاعدة: **المرجع السابق**، ص ص: 128- 129.

بها ببعض الجوانب خاصة النواحي الاجتماعية والإقتصادية والأمنية، ومن مصر توجه إلى الحجاز وتحدث عن ساحل البحر الأحمر، وعن القرى والمدن التي تحاذيه وعادات القبائل هناك مع ركب الحجيج المغربي والمصري، كما تحدث كلما اقترب من مكة عن العيون والآبار والحياة السياسية والزراعية في المناطق التي مروا بها، كما تحدث الورثلاني عن قضاء مناسك الحج، وتجوله في الأماكن والبقاع المقدسة، كما خصص جزءًا في رحلته للحديث عن الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية كما خصص الورثلاني في رحلته قسمًا لأخبار متصوفة الجزائر، بل إن سمة التصوف ظاهرة في كتابه الرحلة، كما تحدث عن الخرافات والغيبيات والكرامات المنسوبة إليهم[1].

ما نصل إليه في الأخير إلى أن الرحلة الورثلانية تعتبر جزءًا مهمًا من تراث الجزائر الثقافي والتاريخي ومصدر مهم للدارسين والباحثين فيه.

ثالثًا: الرحلة الحجازية للحضيكي:

1) مولده ونشأته:

هو العلامة المحدث، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي شهرة، الشاذلي طريقة، الترسواطي مدشرًا، المانوزي قبيلة[2]، نزيل زاوية إيسي بسوس، عالم بالتراجم من أدباء المالكية وفقهائهم، ورواية سوس الأقصى[3].

ولد محمد بن أحمد الحضيكي – رحمه الله- عام (1118هـ/1706م)[4]، في مدشر ترشزاط في قبيلة امَانُوزْ بسوس جنوب المغرب، لقنه والده مبادئ الدين، ووجه لحفظ القرءان الكريم عند

---

(1) العري بلاعدة: **المرجع السابق**، ص: 131.

(2) أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي: **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2011، ص: 13.

(3) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 156.

(4) محمد ماكامان: **المرجع السابق**، ص: 234.

الإمام عبد الله بن إبراهيم الكرسيفي، كما تلقى دروسه في المدرسة الصوابية الماسية بسوس وتخرج منها، ثم بعدما تطلع في العلوم ارتحل إلى الشرق فحج وزار أواسط فكتب رحلته[1].

2) شيوخه[2]:

عاش الحضيكي في منطقة سوس العامرة بالزوايا، والمدارس العتيقة وأخذ علومه ومعارفه المختلفة على أيدي الكثير من العلماء والشيوخ، سواءً في المغرب أو من المشرق أمثال:

- أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي من علماء سوس، توفي عام (1149هـ/1736م)، سمع منه صحيح البخاري، تفسير ابن الجوزي، تفسير الجلالين، صغرى الإمام السنوس.
- عبد الله بن إبراهيم الرسموكي: توفي عام (1147هـ/1734م)، قرأ عليه مجموعة من عيون الكتب كالآجرومية وألفية ابن مالك وبعض رسالة ابن أبي زيد في الفقه والتوضيح لابن هشام.
- عبد الله بن أبي إسحاق الكرسيفي: توفي عام (1140هـ/1727م)، قرأ عليه القرآن الكريم وحفظه عليه، وأحكام العبادة.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن الحامدي من علماء القرن الثاني عشر، سمع منه مختصر الشيخ خليل.

3) آثاره:

توفي الحضيكي سنة (1189هـ/1775م)[3]، مخلفًا العديد من التآليف والتصانيف المفيدة في علوم مختلفة ومعارف متعددة منها نذكر:

- شرح الرسالة القيراونية: وهو شرح على رسالة ابن أبي يزيد القرواني (المتوفي عام 386هـ) في الفقه توجد منه نسخ كاملة بخزائن سوسة خاصة.

---

(1) محمد بن أحمد الحضيكي: **المصدر السابق**، ص: 14.

(2) **نفسه**، ص ص: 16- 17.

(3) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 156.

- مناقب الحضيكي في تراجم شيوخه وشيوخهم وتلاميذه ومن لقيهم في أسفاره، مرتب على حروف المعجم، لم يضع له مقدمة ولا خاتمة ولم يذكر له عنوانًا ويعرف أيضًا بطبقات الحضيكي[1].
- مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة: ويسمى أيضًا مختصر الإصابة، اختصر فيه الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني[2].
- بالإضافة إلى كتب الرحلة الحجازية شرح العلوم الفاخرة للرسموكي وحاشية على البخاري، وشرح بانت سعاد، وشرح الهمزية والتعليق على سيرة الكلاعي، وشرح الطرفة في اصطلاح الحديث وشرح الغنيمة لابن ناصر، ومجموعة إجازات أشياخه، وفهرسة، وشرح الشقراطية (شرح على القصيدة اللامية في السيرة لمحمد بن يحي بن علي الشقراطيسي المتوفي عام 466هـ)، وحاشية على الشفا للقاضي عياض، ورسالة في آداب المعلم والمتعلم وطبقات علماء سوس[3].

4) الرحلة الحجازية:

تعتبر من أهم مؤلفات الشيخ الحضيكي، وقد استهلها بتحديد الهدف من تأليفها بقوله: "فالمراد ذكر جماعة ممن لقيناهم من العلماء في الحضر والسفر، رجاءً من الله تعالى عظيم البركة، وشمول الرحمة عند ذكرهم وانخرطًا في سلكهم، لوفور محبتي لهم، ولعظيم شوقي لذكرهم "فالمرء مع من أحب"، تأنيسًا لنفسي وتأسيهم بهم وإسعافًا لمن أحب...." [4].

---

(1) محمد بن أحمد الحضيكي: **المرجع السابق**، ص: 31.

(2) مصطفى الغاشي: **الرحلة المغربية والشرق العثماني (محاولة رسم في بناء الصورة)**، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص: 212.

(3) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 157.

(4) محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، تق وتح: أحمد بومزكو، ج1، دار النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2006م،ص: 33.

وبعدما انتهى من ذكر أشياحه المغاربة شرع في وصف رحلته إلى الحج عام 1739م وتحرك الركب نحو سلجلماسة ثم القنادسة لينطلق منها في المسار الذي اعتاد الحجاج أن يسلكوه إلى مكة المكرمة، وبعد الفراغ من مناسك الحج انتقل الركب إلى المدينة المنورة قصد الزيارة، وعبر المسار نفسه رجع الحضيكي مع بعض رفاقه من طلبة سوس، حيث توقف بمصر ودخل الجامع الأزهر قصد الدراسة والتحصيل، فأخذ عن أهم شيوخه في ذلك الوقت، ممن ترجمهم وذكر أخبارهم، والعلوم التي درسها عندهم، كما خصص جزءًا من رحلته للحديث عن نهر النيل العظيم، والأهرامات الفرعونية وذكر بعض الأماكن المشهورة في القاهرة، كمقبرة القرافة، وما اشتهر فيها من المقابر، والمزارات لأكبر العلماء والأولياء وأعلام التصوف وأخبار مصر التي لا تعد، التي أنهى رحلته بذكر بعضها[1].

رابعًا: رحلة أبو العباس الهلالي السجلماسي، المسماة (التوجه إلى بيت الله الحرام):

1) نسبه ونشأته:

هو العلامة أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد –فتحا- بن محمد –ضما- بن الإمام باز النوازل أبي إسحاق إبراهيم بن الهلالي السلجماسي، هو من أسرة اشتهرت بتوارثها للعلم أبا عن جد[2]. ولد بسجلماسة عام 1113هـ/1701م، وتوفي يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول عام 1175هـ/1761م بالزاوية الزينية، حيث داره بها، وهي زاوية سيدي علي بن أبي زينة بوادي المالح بتافيلالت بجنوب المغرب، يقول عنه العلامة محمد بن عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس: "...ممن عز نظيره في زماننا علما وديانة ومروءى ومحبة للخير وللصالحين وأهل البيت النبوي، وحرصًا على الخير وإخماد الفتن والظلم، وبعدًا عن الرئاسة وعدم الاكثرات بالجاه وخصال الصلاح مجموعة فيه"[3].

---

(1) محمد بن أحمد الحضيكي: **المصدر السابق**، ص ص :35-36.

(2) عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة**، دار الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، 2005م، ص: 362.

(3) بعلي حفناوي: **المرجع السابق**، ص: 155.

يعتبر أحد أكابر فقهاء ومشاهير عصره ونسبته التي اشتهر بها تعود إلى جده إبراهيم بن هلال، ويروى أن السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي سأل لما ولي الحكم الفقيه عمر بن عبد الله الفاسي عن أكابر علماء العصر، فأجابه: الأحمدون الثلاثة يقصد أحمد الهلالي، وأحمد بن عبد الله الغربي الرباطي، وأحمد بن محمد الورزازي التطواني[1]،

وأيد هذه الشهادة الشيخ التاودي ابن سودة وآخرون من مشيخة علماء فاس كانوا حاضرين بالمجلس الذي وقع فيه السؤال[2].

تتلمذ أبو العباس أحمد الهلالي على يد ثلة من مشايخ المغرب والمشرق، حيث بدأ تكوينه العلمي بمسقط رأسه سجلماسة فأخذ عن مجموعة من الشيوخ المغاربة كقريبه أحمد الحبيب اللمطي الصديقي، وأحمد بن أبي القاسم الغنجاوي السجلماسي، لينتقل بعدها إلى حاضرة فاس لمتابعة وإكمال قراءته بجامع القرويين، فأخذ عن أعيان شيوخها كأحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي وأحمد بن محمد بن عبد القادر ومحمد الكبير السرغيني، وواصل أبو العباس أحمد الهلالي مسيرته في طلب العلم إلى أن بلغ مراده بين مصف علماء زمنه، ومن خلال حجه لمرتين احتك بثلة من العلماء من مصر والحرمين الشريفين، أخذ عن بعضهم، وأجازه البعض الآخر منهم، نذكر من بينهم اللذين ذكر أسمائهم في رحلته وفهارسه الثلاث: كمحمد بن الطيب الصميلي الشرقي الفاسي نزيل المدينة المنورة، ومصطفى البكري الشامي دفين مصر، وحمد بن علبون الطرابلسي ومحمد بن حسن العجمي المكي ومحمد بن سالم الحفناوي[3] وعنه أخذ الحديث المسلسل بالأولوية المسمى عندهم بحديث الرحمة والشهاب أحمد العجمي والشهاب أحمد الملوي وغيرهم[4].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور: **أعلام المغرب العربي**، ج6، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1998م، ص: 349.

[2] فاطمة بلهواري: (وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي)، **في المجلة الجزائرية للمخطوطات**، جامعة وهران، مج14، ع2، ديسمبر 2019م، ص: 38.

[3] موسى شرف: **المرجع السابق**، ص: 95.

[4] فاطمة بلهواري، **المرجع السابق**، ص: 39.

2) مؤلفاته:

خلف الهلالي كتبًا ورسائل علمية عديدة، ومقيدات مفيدة في فنون العلوم وأنظامًا متنوعة ومن بينها:

- في العقيدة والفقه: إتحاف المقتنع بالقليل في شرح مختصر خليل، نور البصر، شرح مقدمة المختصر (مختصر الشيخ خليل)، المراهم في أحكام فساد الدراهم، منظومة في حكم سكنى بيت المدرسة المحبس على الطلبة في علوم اللغة: نذكر من بينها: فتح القدوس في شرح خطبة القاموس، إضاءة الأدموس، رياض الشموس، إسعاف اللب الأنوس؛ في علوم القرآن: عرف الند في حكم حذف المد، تقيد في إعراب البسملة، تفسير القرءان الكريم في المنطق والتصوف؛ شرح نظم الشيخ عبد السلام القادري المتوفي عام 1110هـ، على مختصر السنوسي سماه "الزواهر الأفقية في شرح الجواهر المنطقية"، قصيدة في التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى[1].

3) رحلته:

للهلالي السجلماسي رحلة حجازية ذكر فيها أسانيد الكتب السنية ومشاهيرها، وكتب العلوم المتداولة وبعض السلسلات، وله فهرس آخر صغير وآخر وسط، خرج الهلالي السجلماسي في رحلته الحجية عام (1150هـ/1737م) [2] والمسماة التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره – عليه الصلاة والسلام-[3]، حيث خرج قاصدًا حج بيت الله من داره بالزاوية الزينة في الثالث عشر من جمادي الثانية، وفي هذه الرحلة وصف الهلالي السجلماسي ما شاهده في حجته الأولى والثانية[4]، وذكر فيها

---

[1] أبي العباس الهلالي السجلماسي: **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، در وتح: محمد بوزيان بنعلي، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، 2011م، ص- ص: 38- 43.

[2] بعلي حفناوي: **الرحلات الحجازية المغاربية، المرجع السابق**، ص: 155.

[3] أبو الهلالي السجلماسي: **المصدر السابق**، ص: 100.

[4] عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص: 362.

من لقي من العلماء بمناطق متعددة في جنوب المغرب وبعض المناطق الغربية والشرقية من الجنوب الجزائرية وفي تونس ومصر والحرمين، وقد ذكر مروياته عنهم وإجازات بعضهم[1].

خامسًا: الرحلة الناصرية لأحمد بن الناصر الدرعي

1)التعريف بالرحلة:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن ناصر الدرعي أبو العباس المدعو بالخليفة[2]، ولد منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان (1057هـ/1647م) [3].

نشأ أبو العباس أحمد بن ناصر في بيت عرف بصيته العلمي والديني فعائلة الناصري كانت عائلة علماء داع صيتها في المشرق والمغرب وكانت صاحبة طريقة دمعت بين الورع والمعرفة[4]، فوالده الشيخ محمد بن ناصر المفتي 1085هـ تصدر المشيخة الصوفية بزاوية تمكروت بعد قتل أبيه على يد زعماء درعة، اشتغل فيها بتدريس العلم لطلبة وتدريس المريدين[5].

عرف أحمد بن ناصر بدوره الكبير في نشر المعرفة سواءً في المغرب أو المشرق، فقد حج أربع مرات فاشتهر أمره بالمشرق مثلما اشتهر بالمغرب اتبعه العديد من المريدين[6].

---

(1) فاطمة بلهواري: **المرجع السابق**، ص: 40.

(2) عواطف بنت محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص: 76.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية (1709-1710م)**، تح: عبد الحفيظ ملوك، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص: 19.

(4) محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص: 215.

(5) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص: 185.

(6) محمد حجي: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي**، مذكرة لنيل شهادة الدراسات العليا، كية الآداب، الرباط، المغرب، 1963م، ص: 58.

شكلت الزاوية الناصرية شخصية أحمد بن ناصر التي وجهته إلى طريق العلم والتصوف، فكانت الزاوية مدرسته الأولى، تتلمذ على يد أبيه محمد بن ناصر الذي يعتبر شيخه الأول من تم على يد ثلة من الشيوخ والأساتذة منهم أبو سالم العياشي والشيخ أبو عبيد الله محمد بن فتوح التلمساني، ومن المشارقة إبراهيم بن حسن الكوراني[1]، وغيرهم.

وبذلك أصبح الشيخ أحمد بن ناصر عالما وفقيها متمكنا في شتى العلوم وشيخا متصوفا متمسكا بالسنة فأصبحت الزاوية الناصرية عند توليه المشيخة مركز استقطاب قوي فانتشر صيتها واتسع نفوذها[2].

2) مؤلفاته:

ترك أحمد بن الناصر الدرعي العديد منها نذكر أشهرها:

- كتاب الأجوبة.
- تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[3].
- شفاء المريض فى بساط القريض، وهو مجموعة من الأشعار.
- مجموعة من الرسائل.
- كتاب في السيرة النبوية بعنوان " تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية"[4].
- رحلته إلى الحجاز التي تهمنا في المذكرة.

---

(1) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص: 186.

(2) أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص: 79.

(3) عواطف بنت محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص: 79

(4) أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص: 34.

3) الرحلة الناصرية:

تعتبر الرحلة التي كتبها في (1121هـ/1709م) هي حوصلة ما رآه في رحلاته السابقة التي حجها في (1076هـ/1665م) التي كانت مع والده، وحجته التي قام بها (1096هـ/1674م) وكذلك التي قام بها في (1109هـ/1684م) [1]، فضمت رحلته أخبار وفوائد علمية كثيرة لخص فيها كثيرًا مما ورد في رحلة العياشي[2].

فيمكن الاستفادة من الرحلة من جوانب متعددة، حيث فيها الكثير من المعلومات التاريخية الهامة مثل الأمور السياسية والصراعات، وتحتوي على فوائد علمية يمكن الاستفادة منها كتراجم لمشاهير العلماء واستخراج القصائد الشعرية واستنباط الأحكام الفقهية لمسائل مستحدثة وآراء الفقهاء في المسائل كمسألة شرب الدخان والقهوة[3].

فالرحلة تناولت الحديث عن الأماكن التي مرت بها في الصحراء الجزائرية انطلاقا من وادي درعة وصف الحياة الاجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحواضر الصحراوية ومعطيتا انطباعات حولها[4] توفي أحمد بن ناصر الدرعي في الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام (1128هـ/1715م) [5].

سادسًا: رحلة ابن الطيب الشرقي (رحلة ابن الطبيب من فاس إلى مكة المكرمة):

1) تعريف شخصية ابن الطيب: هو فخر الدين محمد الطبيب، وبه عرف ابن محمد بن موسى الفاسي المدني المعروف بالشرقي ويطلق عليه أيضًا محمد بن الطيب التركي الصميلي [6]، نسبة

---

(1) محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص: 216.

(2) عواطف بنت محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص: 80.

(3) عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص: 255.

(4) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص: 134.

(5) عواطف بنت محمد يوسف نواب: **المرجع السابق**، ص: 82.

(6) محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص: 236.

إلى قبيلة شراكة الواقعة شمال مدينة فاس ولد بها سنة (1110هـ/1698م)، ودرس بها وكان واسع الإضلاع، لغوي المعارضة، أمينا في الرواية، له من الشيوخ ما يقارب مائة وثمانين شيخا[1] في المغرب والمشرق، رحل إلى المشرق للحج وجاور الحرمين الشريفين فداع صيته في مجال العلوم اللغوية والإسلامية فقصده أبناء الشام والحجاز والعراق ومصر ولعل أشهر طلبته هو الشيخ مرتضى الزبيدي[2].

2) مؤلفاته:

كان ابن الطيب الشرقي من الأدباء القراء، يعرفه أهل المشرق والمغرب، حيث كانت له تأليف عديدة[3]، فكان الرجل مولعا بالأسفار حتى قيل أنه كان يملي ويكتب في كل بقعة وأشار إلى ذلك في ديباجة القاموس، ومن بين مؤلفاته رحلتان غير أن الثانية ضاعت وبقيت الأولى التي كتبها (1139هـ/1756م) ويوجد بمكتبة ليزيك بألمانيا تحت 746 فالرحلة التي قام بها إلى الحجاز كتبها ابن الطيب الشرقي في شكل يوميات، حيث كان يهدف إلى :

- بيان منازل الطريق.
- التعريف بالأعلام التي اتصل بهم.
- تقديم شواهد تعريفية متعلقة بالرحلة[4].

فاقت الخمسين وأهمها القاموس المحيط المسمى بإضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس وله الصفر عن خبايا المزهر[5].

---

(1) محمد الطيب الفاسي: **رحلة ابن الطيب من فاس على مكة المكرمة**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار الغرب، دمشق، سوريا، 2014م، ص: 07.

(2) محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص: 236.

(3) عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص: 331.

(4) محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص: 237.

(5) موسى شرف: **المرجع السابق**، ص:91.

فالرحلة يكثر الحديث فيها عن المغرب ومزاراتها وعن الحواضر التي مرو بها وعن المصاعب التي لقاها مع الركب المغربي، فهو يطيل الحديث عن المسالك والطرقات التي مر بها الركب إلى الحج والمدن والأسواق التي توقفوا بها إلى أن وصلوا أرض الحجاز[1].

سابعًا: رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي (1239هـ/ 1823م):

1)تعريف بالشخصية: محمد بن عبد السلام بن محمد الكير بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي، ولد بتامكروت سنة (1145هـ/1732م) [2]، تلقى العلم في بلدته درعة قبل أن ينتقل إلى فاس، درس على علماء كبار كالشيخ محمد بن قاسم جسوس، والشيخ محمد التاودي بن سودة وأبي العباس الشريبني الذي أجازه إجازة عامة [3]،فالشيخ أبي عبد الله كان آخر كبار شيوخ الزاوية الناصرية والتي كان مقرها تمكروت، وكانت هذه الطريقة تابعة لطريقة الزروقية الشاذلية [4].

على الرغم من تكوينه الصوفي بحكم انتمائه إلى الزاوية الناصرية، فغن علاقته بكبار علماء الحديث في عصره جعله محدثا واسع الإطلاع بعلم الحديث [5]، نشأ ابن ناصر على التصوف غير أنه تصوفه لم يبعده عن مجالات العلوم المختلفة سواءً في الأدب والشعر والتاريخ والفقه والحديث، كما عرف عنه محاربته البدع والخرافات وهو ما فعه إلى تأليف كتابي الموضوع سماه "المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا"، وقد كان في التأليف يرد على ابن عمه الذي كان يتولى شؤون الزاوية وقد ذكر تبيان بدع مخالفة لشرع[6].

---

(1) موسى شرف: **المرجع السابق**، ص:91.

(2) أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصري الكبرى**، تح: المهدي الغالي، ج1، دار ابن الرقراق لطباعة والشر، ط1، المغرب، 2013م، ص:10.

(3) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص:229.

(4) عمر بن قايد: منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي (1823/1239م) قراءة إقتصادية،**المجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية**، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، جامعة سيدي بلعباس، ج09، ع01، 201م، ص:207.

(5) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص:289.

(6) **نفسه**، ص:290.

ومن مؤلفاته أيضًا "الرحلة الناصرية الكبرى" التي دون فيها أخبار رحلته الحجازية الأولى (1196هـ/1782م) [1]، حيث تتلمذ على العديد من العلماء والفقهاء المغاربة والمشارقة الذين أجازوه، ووضعها في كنانيش تسمى بكنانيش ابن عبد السلام الناصري، وله شرح على الأربعين حديثًا[2]، ومن جملة مؤلفاته أيضًا "قطع الوتين من المارق في الدين أو الصارم البتار فيمن أفتى ببيع الأحرار"، وله أيضًا "المصفى في حلية السكر المصفى"، وله "الدر النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس" ومناقب الأولياء[3]، وله كذلك "الرحلة الحجازية الصغرى"، دونها في حجته سنة (1211هـ/1797م)، تضمنت الكثير من الفوائد العلمية والتاريخية والأدبية.

وفي حديثه عن الرحلة الناصرية الكبرى التي غادر فيها الزاوية الناصرية يوم 3 جمادى الثانية (1196هـ/ 18 ماي 1782م)، تضمنت الرحلة الكثير من الأخبار والمعلومات عن المجتمعات القاطنة عبر المسالك الجزائرية التي مر بها مثل الأغواط وبسكرة ونجده كثير ما يعقب عن الظواهر الاجتماعية والثقافية في الحواضر الصحراوية[4] مثل تعقيبه ونقده للعياشي في منطقة الأغواط، حيث سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثالث، فالشيخ عبد السلام بن ناصر يعتبر أحد أضل فقهاء وعلماء نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وقد قيل فيه الكثير، ونورد هنا فقط ما أورده الكتاني "وأعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث وأوسعهم رواية وأحبرهم قلما وأعلاهم إسنادا"، وقد توفي – رحمه الله- في 12 صفر (1239هـ/1823م) [5].

---

(1) عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص:458.

(2) علي حفناوي: **الرحلات الحجازية المغاربة .. ، المرجع السابق، ص: 172**.

(3) أبي عبد الله عبد السلام الدرعي: **المصدر السابق**، ص:16.

(4) عمر بن قايد: **المرجع السابق**، ص:207.

(5) مصطفى الغاشي: **المرجع السابق**، ص:231.

بعد استعراضنا لأدب الرحلات وأنواعها وأغراضها وأسبابها ودوافعها، ولعل أهم سببا للرحلات الدينية هي الرحلة الحجازية التي تعتبر جامعة لكثير من أنواع الرحلات فحاولنا نم خلال هذا الفصل التعريف بأهم الرحالة الذين مروا على الصحراء الجزائرية، وذلك بالتعريف بهم وبكتبهم، وكذا التعريف بشيوخهم وتلاميذهم وكتبهم سنحاول الاعتماد عليها في هذه المذكرة، فالرحالة ذو مكانة علمية كبيرة ولهم عدة رحلات جابوا خلالها الحواضر الصحراوية ونقلوا مشاهدات تاريخية يستأنس بها في الكتابة التاريخية للحواضر الصحراوية وخاصة في غياب المصادر التاريخية البحتة والاعتماد الروايات الشفوية وما يشوبها من خرافات وأساطير في كتابة تاريخ المنطقة.

الفصل الثاني:

الصحراء الجزائرية في القرنين (11-12هـ/ 17-18م)

المبحث الأول: المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية

المبحث الثاني: الطرق والقوافل الحجية المارة بالصحراء الجزائرية في القرن (11-12هـ/ 17-18م)

المبحث الثالث: أهمية الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية القرنين (11-12هـ/ 17-18م)

تعتبر الصحراء الجزائرية ممر للكثير من القوافل التجارية والحجية، التي رسمت الكثير من الحواضر حيث تشكلت بعديد من الأسباب، ولعل من بينها مسالك الطرق وأنماط تواجد الماء، فتشكلت بذلك حواضر صحراوية تفاعلت مع طبيعة الصحراء لتنتج مجتمعات ذات تركيبات متعددة تفاعلت حضاريا مع بعضها البعض، وفي هذا الفصل حاولنا إلقاء الضوء على أهم الحواضر الصحراوية التي يمر بها الرحالة وخاصة القوافل الحجية، فتطرقنا إلى الموقع الجغرافي والفلكي لهذه الحواضر وكذا التركيبة الاجتماعية، وأهم محطات توقف الحجاج وكذا الوقت المستغرق في قطع الصحراء الجزائرية من قبل القوافل الحجية، إضافة إلى أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية.

المبحث الأول: المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية :

أولاً: توات

1- **جغرافيا توات:** يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية[1]، وهي جزء مهم من الصحراء الإفريقية الكبرى[2]، بحيث تبعد عن الجزائر العاصمة بـ1500 كلم[3]، وهذا الإقليم يشمل عدد من الواحات والمدن والقصور، تزيد على الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك في الصحراء.

يقع الإقليم على خطي طول 4° شرقًا و3° غربًا وبين دائرتي عرض 25° و3° شمالاً، يمثل هذا الموقع امتداد طبيعيا لمنخفض تنروفت نحو الشمال، ويتربع الإقليم على مساحة تزيد على ثلاثة آلاف كلم^2، ويحده العرق الغربي ووادي مقيدن من الشمال، وهضبة تنزوفت وجبال موديرة جنوبًا،

---

(1) فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص:13.

(2) محمد برشان: (الصحراء في أبحاث الشيخ المهدي بوعبدلي (إقليم توات نموذجًا)، **في مجلة دراسات**، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، مج03، ع01، 2014، ص:204.

(3) أحمد أبي الصافي جعفري: **أبحاث في التراث من تاريخ توات**، منشورات دار الحضارة، ط1، 2001م، ص:68.

ويحده من الشرق العرق الشرقي الكبير ووادي مسعود غربا[1]، ويشمل إقليم توات على ثلاثة مناطق مشهورة وهي قورارة[2]، تديكلت[3]، توات.

2- أصل تسمية إقليم توات:

اختلف المؤرخون في أصل تسمية (توات)، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى رسم حدودها فظهرت عدة أقوال في أصل تسمية هذه الأخيرة، فمنهم من يرجعها إلى عقبة بن نافع عندما فتح الإقليم سنة 62هـ، فسأل عن هذه البلاد وعن ما يسمع ويشاع عنها من الضعف وقال: هل تواتي لنفي المجرمين العصاة المغرب[4]، أما الرواية الثانية ذكرها المؤرخ محمد بن عبد الكريم التمنطيطي وأرخها إلى بداية الدولة الموحدية، **يُحكى عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أتمار الكروم ففعل، ثم باعه السلطان لبدو النازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة،** فصار الأمر في العام الثاني تخريص الأشجار وقبض الاتوات كيلا ووزنا على حسب التخريص، فعرف أهل هذا القطر بأهل توات لأن السلطان قبل منهم مغرم[5]، وهي الرواية الأصح[6].

---

(1) محمد برشان: **المرجع السابق**، ص:204.

(2) قورارة: تقع داخل إقليم تقارين وتضم عدة قصور وتسمى بقورارة واكتسبت هذه التسمية لكونها هي نواة الذي تسمى عليه إقليم تورارين وعاصمتها تيميمون. ينظر: نجاة مغربي: **توات من خلال كتابات الرحالة المغاربة ما بين القرنين 11–13هـ/17–19م**، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ. أبو بكر السعيد، جامعة غرداية، 2017م، ص:22.

(3) تيدكلت: مصطلح بربري، يعني راحة اليد (الكف)، تقع جهة الشرق من توات الوسطى باتجاه الهقار، تنتشر بها واحات النخيل وحوالي 50 قصر. ينظر: أحمد بوسعيد: **توات من خلال نوازل الجَنْتوري في القَرنِ 12هـ/18م**"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، إشراف. أ.د. محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، 2012/2011م، ص:06.

(4) صورية حصام: (دور إقليم توات في توطيد العلاقات الإقتصادية والثقافية بين إيالة الجزائر والمغرب)، **مجلة عصور**، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، مج17، ع01، الجزائر، 2018م، ص:182.

(5) محمد صالح حوتية: **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، ج1، ط1، 2007م، ص:37.

(6) أحمد بوسعيد: **المرجع السابق**، ص:18.

أما الرواية الثالثة: فهو ما جاء في بعض التعاريف على أنها أرض تواتي وصالحة للعيش والعباد[1]، وجاء في بعض التعاريف على أنه مصطلح بربري ويعني الواحات وهذا ما استعمله بعض الدارسين الفرنسيين، حيث ربطوه بالأصل الإغريقي، وزعموا أن الواحات اسم "وازس OASIS"[2] حيث هو مركب من مقطعين الأول "وا OA" الذي يتطابق مع المصطلح البربري "وا OUA" والذي تعتبر عن مفردة توات "TOUAT" مثل "تواتن عبو Toutne bbw" ومعناها واحة الماء[3].

3- التركيبة الاجتماعية لتوات

عاش في الإقليم مزيج من الشعوب والأجناس والطوائف، شكلت فسيفساء بشرية يعود السبب في جذورها إلى الهجرات المتتالية التي عرفتها المنطقة من مختلف الجهات في أزمنة غابرة، وهي تنحدر من ثلاثة أصول مثل أغلبية سكان المغرب العربي[4]، وهم: الأمازيغ (البربر)، والعرب، والزنوج[5].

- **البربر (الأمازيغ):** وهم السكان الأوائل لمنطقة توات، خاصة منهم قبائل زناتة، كوتطغر وبني عبد الواد وبني بالدس ومصاب وبني مرين[6]، حيث يقول ابن خلدون عن العمران البشري في منطقة الصحراء "وإلى ما يلي الجوف قصور، تينكورارين تنهي إلى ثلاثة مئة أو أكثر وهي في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق وفيه اسم من زناتة[7].

---

(1) شاطر محمد: (أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل الحديثة)، **المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ**، جامعة معسكر، ع60، ديسمبر، 2014م، ص:293.

(2) Mario Vivaer : **Au sujet de towt Alger**, librairie Michel, Ruff, 1896, p3.

(3) محمد صالح حوتية: **المرجع السابق**، ص:37.

(4) فرج محمود فرج: **المرجع السابق**، ص:45.

(5) صالح بوساليم: **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12–13هـ/18–19م**، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة وهران، ط1، 2019م، ص:91.

(6) خير الدين شترة: (القيم الاجتماعي بإقليم توات من خلال أدب النوازل (نوازل عبد الرحمان الجنتوري أنموذجًا)، **في مجلة التراث**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، مج05، ع17، ص:65.

(7) الصديق تياقة: (الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وهيكله البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة قراءة سوسيولوجية لمجتمعات توات في بلاد القصور أدرار)، **مجلة الخلدونية**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، مج06، ع01، ص:283.

- **العرب:** كان وصولهم إلى الإقليم في شكل هجرات متتالية وفي فترات متقطعة ومتأخرة[1]، ويذكر ابن خلدون أن قبيلة معقل هي إحدى القبائل العربية المهاجرة لصحراء بلاد المغرب انتجاعها لحياة الظغن والترحال في إقليم توات[2].

كونت هذه القبائل والفروع التي استقرت بإقليم ما يعرف بالجماعة التواتية، وهي جماعة وإن اختلفت في أصولها فهي موحدة في عاداتها وتقاليدها وقيمها تجمعها المصالح المشتركة، وتؤدي كل جماعة دورها[3]، وهذا أمر استوحاه أهل توات من الدين الإسلامي[4].

قائمة بأسماء القبائل التي نزحت إلى إقليم توات كما هو موضح في الجدول الآتي[5]:

اسم القبيلة	سنة القدوم		اسم القبيلة	سنة القدوم	
	الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي
أولاد بن عبد الجليل	501	1107	أولاد عبو	609	1212
أولاد عياش	502	1108	أولاد الصابون	640	1242
أولاد خير الله	516	1122	أولاد عليش	650	1252
سيدوعلي البلبالي	518	1124	البرامكة	656	1258
أولاد بن ايدير (ندير)	520	1126	أولاد علي	673	1274
أولاد حسين	528	1134	المحاجيب	678	1276
أولاد بن سليمان	531	1136	قبيلة آخزوم	698	1277

(1) قدور منصورية: دور قبيلة كنتة في تاريخ توات، **مجلة القرطاس**، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، ع**7**، جانفي 2018م،ص:53.

(2) الصديق تياقة: **المرجع نفسه**، ص:283.

(3) قدور منصورية: **المرجع السابق**، ص:53.

(4) صالح بوسليم: **المرجع السابق**، ص:90.

(5) **نفسه**، ص:93.

قبيلة دكوان	536	1141	أولاد الشيخ دحو	1012	1603
شرفاء الحموديون	550	1155	أولاد هلال	1016	1607
أولاد أحمد عزي	608	1211	قبيلة (الطرود) من واد سوف	1027	1617
أولاد عثمان	668	1269	قبيلة أعريب	1076	1665

ثانيًا: ورقلة

تعتبر حاضرة ورقلة مدينة ضاربة في عمق التاريخ منذ القديم، حيث كانت حاضرة علمية كبرى، ومركزًا تجاريًا ضخما ربط وعلاقات مع مختلف الأقطار المغاربية ومع إفريقيا جنوب الصحراء، ولعل الأهمية التاريخية كحاضرة ورقلة تتجلى في أنها ذكرت في العديد من المصادر العربية والأوروبية، وكتب الرحالة مع اختلاف التسمية لها.

1. الدلالة اللفظية:

اختلفت النصوص التاريخية حول تسمية الحاضرة، حيث عرفت بعدة أسماء منها وارجلان واركلا، وراركلة، ورقلة[1].

فالبكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي أطلق عليها اسم وارجلان، حيث قال "**فإنك تسير في الصحراء خمسين يوم إلى وارجلان**"[2].

أما ابن خلدون الذي كعادته تناول القبائل البربرية ويشير إلى أصولها ومضاربها، حيث يقول "بنو وركلان هؤلاء إحدى بطون زناتة"[3]، فابن خلدون يشير على أنها قبائل تنحدر من زناتة.

---

[1] الأزهاري عباز: **نظام المشايخ في ورقلة بين العهد العثمانية والفرنسي خلال (1603–1884)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أ. عاشوري قعمون، جامعة الوادي، 2014/2013م، ص: 12.

[2] أحمد ذكار: (مدينة ورقلة التسمية والتأسيس)، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع17، سبتمبر، 2014م، ص:160.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر للطباعة، لبنان، ج6، 2000م، ص:418.

أما الوزان فقد ذكرها باسم وركلة، حيث أعطى وصفً ممتازًا لحاضرة، حيث قال "**وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر الني ودور جميلة وحولها نخل كثير ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى**"[1].

من خلال وصف الوزان يبدو أن ورقلة كانت إقليم يضم العديد من القرى المتصلة بها، ولعل هذا مرتبط بمراحل التاريخية التي مرت بها، فالقرون الأولى لهجرة كانت تطلق على إقليم يحده شرقًا بلاد الزاب وغربًا وادي ميزاب وجنوبًا مدينة سدراته والقرى التابعة له[2]، حيث كانت عاصمتها فجهومة[3]، أما الفرنسيون فينسبونها إلى اللهجة الأمازيغية عن كلمتين "وار" وتعني الأبناء، "و"ايكيلان" تعني اسود، بمعنى أبناء السود[4].

تعددت الروايات حول نطق المصطلح بين مواطني المدينة وجيرانهم، فالورجلاني من سكان القصر العتيق يسمونه وراقن "Warged"، أما سكان قصر نقوسة فيطلقون عبيها اسم وارقرة "Wargra"، أما المزابيون فيسمونها وارجلن "Wardjlan"، أما الطوارق فيسمونها إوراقلن "Iwargla"، أما العرب فيسمونها ورقلة "Ouargla" اورسخت هذه الأخيرة وأصبحت متداولة[5].

2. جغرافيا حاضرة ورقلة:

تقع جنوب المنخفض الصحراوي على خطي عرض 31° و32° شمالا خط الاستواء، وخطي عرض 5.15° و6.30 درجة شرقا خط غرينتش[6].

---

(1) الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ت: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص:136.

(2) مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر، ج5، 2011م، ص:259.

(3) مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، ج2، 2007م، ص:178.

(4) Jean Lethiell : Ouargla cité Sahariennes, au déduit du XXE siècle, Paris, 1984, p20.

(5) إبراهيم محمد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء واد سوف**، تع: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، دار تالة، طرابلس، ليبيا، 2007م، ص:35.

(6) فتيحة قاضي: (ورجلان وأثرها في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي ما بين القرن 2–3هـ)، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، جامعة تيارت، مج6، ع1، جانفي 2020، ص:35.

وهي تقع على مشارف الصحراء الكبرى في الجنوب الشرقي الجزائري، تحدها شرقًا منطقة وادي ريغ، وغربًا منطقة وادي ميزاب في الجنوب منطقة الهقار وحاضرة توات وتفصلها عن العاصمة الجزائرية مساحة 800كلم[1].

تحتل ورقلة موقعا جغرافيا إستراتيجيا هامًا، كونها تقع في مفترق الطرق في الشمال الصحراء وبوابة لها، فهي محطة للقوافل التجارية وممرا لركب الحجيج والقادم من المغرب الأقصى وبلاد شنقيط والساقية الحمراء ووادي الذهب المتجهة إلى البقاع المقدسة، وتعد ملجأ لزهد والفارين من الاضطهاد عبر العصور[2].

3. التركيبة البشرية في حاضرة ورقلة:

أ) **البربر:** يعتبر العنصر البربري أهم عناصر تشكيلة لمجتمع الورقلي وهذا ما تذكره المصادر السالفة الذكر وخاصة ابن خلدون الذي ذكر أصل التسمية هي قبيلة من فروع زناتة سكنت المنطقة[3].

ب)**العرب:** يعتبر عقبة بن نافع الفهري أول من وضع حجر الأساس للفتوحات الإسلامية الحقيقية لبلاد المغرب ومن خلالها بدأ العرب في الاستقرار بالمنطقة بأعداد قليلة[4]، تم تزايدت هذه التركيبة بفعل الهجرات، خاصة بعد الصراع البربري الفاطمي فوصلت أولى الهجرات في 1051م وسارت جميع بطون بني هلال في الصحراء فكانت حاضرة ورقلة من بينها[5].

---

[1] محمد جودي: (الخصائص المعمارية والفنية للمسكن التقليدي لقصر ورقلة)، **مجلة منبر التراث الأثري**، جامعة تلمسان، ع4، ديسمبر 2015م، ص90.

[2] أحمد ذكار: **حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من (1000 هـ إلى 1301هـ/ 1591 إلى 1883م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف: ا.د، محمد الصالح حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2010/2009م، ص:10.

[3] مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، ج5، المرجع السابق، ص:259.

[4] نفيسة لخضير: **المرجع السابق**، ص:44.

[5] فافة بكوش: (الهجرات الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال (05هـ/11م)، **مجلة القرطاس**، مخبر الدراسات الحضارية والفكري، جامعة تلمسان، ع67، جانفي 2018م، ص:65.

ج) **اليهود:** يعتبر العنصر اليهودي جزءً من النسيج الاجتماعي لورقلة، على الرغم من وجود مصادر كافية تخبرنا بهم اجتماعيا، من حيث زمن وصولهم، وأعدادهم وسلوكياتهم الاجتماعية، إلا أنها ترتكز على ربط وجودهم عموما في بلاد المغرب كمهاجرين منذ العهد الروماني، حيث برزوا مع ما قاموا به من أنشطة إقتصادية[1].

د) **الزنوج (العبيد):** لعب النشاط التجاري لمدينة ورجلان مع إفريقيا جنوب الصحراء في تواجد الجنس الزنجي بكثرة في هذه المدينة[2] برغم أن كلمة واريكلان تتألف من جزئين في اللهجة الأمازيغية، فكلمة وار تعني أبناء، وهذا ما نجده في الونشريس مثل: ويكلان هو جمع مفرد أكلي وهو الأسود، أو الزنجي، ويصبح المعنى أبناء الزنج[3]، فهذا لا يعني أنهم أسسو مدينة ورقلة لأن ابن خلدون نسبه إلى قبيلة من زناتة كما أسلفنا الذكر.

ثالثًا: واد ريغ:

يعتبر واد ريغ من أهم الحواضر الصحراوية التي شهدت حركة علمية وثقافية وهذا بحكم القوافل الحجية المارة بها.

1. **جغرافيا وادي ريغ:** تشمل منطقة وادي ريغ الجهة الشمالية الشرقية من الصحراء الجزائرية على مسافة 600كم جنوب شرق عاصمة البلاد الجزائر، وهي منحدر يبدأ من منطقة أم الطيور، على بعد 80كم من بلاد الزاب إلى بلدة قوق على مسافة 30كم جنوب تقرت[4]، ليمتد بذلك على مسافة 160 كم من الشمال إلى الجنوب وامتداد أفقي (العرض) ما بين 30 إلى 40كم[5].

---

[1] رضوان شافو: **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجًا (1844–1962م)**، أطروحة دكتوراه على في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2012/2011م، ص:47.

[2] مختار حساني: **الحواضر والأمصار والإسلامية الجزائرية**، ص:281.

[3] **نفسه**، ص:259.

[4] بن صغير حضري يمينة: منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الاستعمارية) ، **مجلة الواحات**، جامعة غرداية مج10، ع2، 2017م، ص:115.

[5] بن صغير حضري يمينة: (سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ)، **مجلة الواحات**، جامعة غرداية، مج7، ع2، 2014م، ص:458.

يحد الإقليم من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة ومن الشرق العرق الشرقي الكبير ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب.

أما بالنسبة للموقع الفلكي لإقليم وادي ريغ فهو يقع بين خطي طول 7 درجات شرقًا و5 غربًا، وبين دائرتي عرض 34 درجة شمالاً، و32 درجة جنوبًا[1]، ويضم الإقليم حوالي 35 مدينة وقرية تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ[2].

2. التركيبة الاجتماعية في واد ريغ:

قطنت ولازالت تقطن مناطق وادي ريغ قبائل وأجناس كثيرة متداخلة في أنسابها وأصولها تمازجت عبر الأزمنة التاريخية بفعل الظروف الحياة المشتركة ووحدة العادات والتقاليد، مما استعصى على الباحثين معرفة أصول هذه التركيب الاجتماعية، فلولا بعض المصادر التي فكت الإبهام حول هذه المسألة[3]، فكانت التركيبة الاجتماعية كالتالي:

أ) **الرواغة:** حيث ينتسب الإقليم إليهم، حيث ينحدر الرواغة من قبيلة زناتة البربرية على حسب وصف ابن خلدون، حيث يقول: "...**أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة.. وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء من بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من زناتة**"[4].

ب)**العرب:** هم الذين وفدو على المنطقة في شكل هجرات فردية في بداية الأمر من الزيبان وتونس والمغرب، وهجرات جماعية اجتياح قبلتي بني هلال وبني سليم، كما أسلفنا الذكر من قبل في حاضرة ورقلة[5].

---

(1) الوردي طرطاق: (أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية "إقليم وادي ريغ أنموذجًا")، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، جامعة المسيلة، ع32، جوان 2015م، ص:203.

(2) سعاد عمراني: (الوضع الثقافي في منطقة وادي ريغ النصف الأول من القرن العشرين)، **مجلة البحوث والدراسات**، جامعة الوادي، ع17، 2014م ص:279.

(3) الطيب بوسعد: (الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحالة المغربة خلال العهد العثماني "وادي ريغ نموذجًا")، **مجلة الواحات**، جامعة غرداية، ع15، 2011م، ص:438.

(4) ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:96.

(5) الطيب بوسعد: **المرجع السابق**، ص:439.

ج) **المجاهرية:** سكنت قديما مدينة مستاوة من طرف عائلات شبه اقتطاعية محلية ارتبطت بالتجارة والملكية العقارية والحرف يطلق عليهم المجاهرية، وهم أيضًا مجموعة متميزة من السكان الحضريين القدمى (البيض) المرجح أنهم قدموا هجرات متعاقبة في مراحل تاريخية من الجريد التونسي وليبيا والزاب ومناطق التل، واستوطنوا مع بعض العائلات من اليهود المدينة التاريخية مستاوة، حيث أن أسماء عائلاتهم: كافي، الطرابلسي، السنوسي، الوزاني، حيث توحي أن هذه الأسماء المناطق التي قدموا منها[1]، فالمجاهرية تصحيف لكلمة المهاجرية، وهم أولائك الذين نزحوا إلى واد ريغ وعمرو المدينة بنشاطهم الحرفي والتجاري، وعلى اعتبارهم يشغلون في الدواوين الحكومية وحيازة الأملاك العقارية والتجارة في المواد الغذائية والمهن الحرة كالتجارة والحياكة، بينما يمارس اليهود تجارة الذهب ويحترفون الصباغة والنقش على الذهب[2]، بالإضافة أنهم مسلمون ويتكلمون اللغة العربية[3].

رابعًا: إقليم الزاب

1. جغرافيا إقليم الزاب[4]:

يقع إقليم الزاب على خط عرض 34°، 30° شمالاً وخطي طول 2° إلى 3° شرقًا، يحده من الشمال التلال الجنوبية الجبل الأحمر، وجبال الأورواس، أما غربًا يحده سلسلة جبل الدخان إلى غاية

---

[1] عبد القادر خليفة: **تحولات البني الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في المدن الصحراوية لمدينة تقرت (وادي ريغ)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علم الاجتماع، إشراف: عبد الرحمان برقوق، جامعة بسكرة، 2011م، ص:127.

[2] الطيب بوسعد: **المرجع السابق**، ص:440.

[3] أثارت علاقة المجاهرية باليهود الكثير من اللغط لدى الباحثين المحليين وعلى رأسهم الشيخ أبو القاسم سعد الله الذي حقق رحلة الحاج الدين الأغواطي الذي وصف المجاهرية بأوصاف ذميمة، وأن أصلهم يهود ويتكلمون العبرية وأنهم أسلموا إلا تقية بعد تهديد الأهالي بقتلهم. للمزيد ينظر: ابن الدين الأغواطي: **رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2001م، ص:100.

[4] يأخذ الزاب الاسم من مدينة زابي (Zabi) الرمانية القديمة التي كانت تقع في منطقة الحضنة. للمزيد ينظر: سهام بوعزة: (التعريف بمنطقة الزيبان من خلال الدراسات التاريخية والجغرافية)، **مجلة دراسات**، جامعة الأغواط، مج10، ديسمبر 2018م، ص:32.

وادي جدي، أما جنوبًا يقسم المنطقة المحصورة بين وادي الجدي ووادي ايتل الذي يرتكز على وادي الجدي من جهة شط ملغيغ، وأخيرا من جهة الشرق نجد الحدود مجزأة بين سهل كبير يمتد بين جبل أحمر والشط[1]، حيث قاعدة الزاب هي بسكرة.

2. **تقسيمات الإقليم**: تعددت التقسيمات في المصادر التاريخية والجغرافيا حول الإقليم، ولعل تقسيم ابن خلدون كان أشمل، حيث عرفها "**وهذا الزاب وطن كبير يشمل قرى متعددة ومتجاورة جمعا جمعا، ويعرف كل واحد منها بالزاب، وأولها زاب الوسن، ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة، وزاب بسكرة، وزاب تهودا، وزاب بادس، وبسكرة أهم هذه القرى كلها**[2].

أما دوماس قسمها إلى ثلاثة أقسام مسماة حسب موقعها:

- زاب ظهروي وهو زاب الشمال.
- زاب قبلي: هو زاب الجنوب.
- زاب شرقي: هو زاب الشرق[3].

أما مختار حساني فقسمه إلى قسمين غربي وشرقي، فالزاب الغربي يقع غرب بسكرة ويشمل حاليا طولقة، الغروس، أوماش، مليلي وليوة. أما الزاب الشرقي فيحتل الناحية الشرقية من بسكرة ويمتد حتى شمال الوادي فيشمل شمة، سيدي عقبة، سريانية وغيرها من المناطق الأخرى[4].

---

(1) لطيفة سمسوم: الأهمية الإقتصادية لإقليم الزاب، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، جامعة وهران، ع15، 2016م، ص:47.

(2) عبد الرحمان بن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص:585.

(3) سهام بوعزة: **المرجع السابق**، ج6، ص:34.

(4) مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية** ، المرجع السابق، ص:256.

3. التركيبة الاجتماعية لإقليم الزاب:

أ) **البربر:** وهم سكان المغرب الذين سكنوا الزاب والصحراء وحواضرها فكان الزاب من زناتة ومغراوة، هوارة و واوربة توزعوا في مدن الزاب[1].

ب)**العرب:** استقر العرب منذ الفتح الإسلامي حاله حال الحواضر الصحراوية سالفة ذكر، لكن بمجموعات قليلة ولكن مع الوصول والحلول الهلالي أزاحوا القبائل البربرية إلى الجبال وعلى الخصوص إلى الأوراس[2].

من خلال هذا المبحث حاولنا إعطاء بطاقة تعريفية على أهم الحواضر والمدن التاريخية الصحراوية وتفاعلاتها الحضارية التي كان لها دور في حركة القوافل الحجية فالرحالة تكلموا عنها كثيرًا، صحيح أننا أغفلنا بعض الحواضر التي لا تقل بأهمية بمكان، ولكن لتحكم في حجم المذكرة وسيتم الإشارة إليها في الهوامش من خلال مبحث الطرق والقوافل الحجية المارة بالصحراء الجزائرية، فالصحراء كانت مزيج من السكان تجمعهم عوامل كثيرة كاللغة والدين والمصير المشترك، حيث أن العصبية كانت تحافظ على الجنس.

---

[1] فاطمة الزهراء غضبان: **مدن إقليم الزاب من خلال الكتب الجغرافية (النشأة والتطور والاندثار ق8هـ/14م)**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف: جمال مجذوب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م، ص:42.

[2] مختار حساني: **الحواضر الإسلامية الجزائرية** ، المرجع السابق، ص:10.

المبحث الثاني: الطرق والقوافل الحجية المارة بالصحراء الجزائرية في القرن 18/17م

ظلت أخبار صحراء الجزائر مجهولة وقليلة وغير دقيقة الأوصاف لأن الذين كتبوا عن الصحراء كانوا مشارقة، إلا أن ظهر ابن حوقل 366هـ والبكري 460هـ اللذان قدما مخطوطات هامة عن الصحراء الجزائرية رغم أن البكري لم يزر الصحراء الكبرى، بل أخذ من عند المشارقة والذين جاؤوا من بعده أخذوا عليه، إلا أن مجموعة من الجغرافيين الرحالة أخذوا على عاتقهم كشف الحياة في هذه المنطقة المجهولة أمثال: ابن سعيد المغربي وابن بطوطة والعمري، بقيت هذه المصادر تؤرخ لمرحلة الوسطية في التاريخ، لكن مع مطلع القرن 15-16م[1] لف الغموض الصحراء الجزائرية إلى أن ظهرت بعض الرحالة مثل ليون الإفريقي ومارمول كربخال الذي نسخ كتاب الوزان، وخاصة في الجزء الخاص بالصحراء، ومع مطلع القرنين (11-12هـ- 17-18م) ظهر رحالة جابوا الصحراء ضمن طريقهم إلى أداء مناسك الحج فدونوا لنا الحياة في الصحراء الجزائرية وخاصة المسالك والحواضر التي مروا منها، فشكلت شبكة من الطرق نميز ثلاثة طرق هي كالتالي:

أولاً: طريق الحج الصحراوي الجنوبي:

يعتبر هذا الطريق من أصعب الطرق الصحراوية التي يمر بها الحجاج المغاربة، لكن أهميته تكمن أنه أكثر حركية ونشاط إقتصادي[2]، فهو ينطق من سجلماسة في خط سير أفقي نحو إقليم توات مرورًا على قرى وادي الساورة، ومنها إلى أوكريت وهي من بلاد تيجورارن[3] إلى ورقلة[4] مرورًا على مدينة القليعة (المنيعة) وصولاً إلى ورقلة ثم إلى قاعدة وادي ريغ، مرورًا بمدينة نقوسة ثم وادي سوف

---

[1] عبد الحفيظ حميمي: (صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة)، **مجلة العبر للدراسات التاريخية**، جامعة تيارات، مج3، ع01، جانفي 2020م، ص: 159.

[2] رشيد حفيان: **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. خليفة حماش، جامعة قسنطينة، 2014م، ص:21.

[3] **تيجورارين**: كلمة أمزيغية تعني المعسكرات أو المخيمات. ينظر: أحمد بوسعيد: **المرجع السابق**، ص:03.

[4] فوزية عراز: **مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية (الرحلات الحجازية)**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجامعة الإفريقية العالمية، السودان، 2016م، ص:160.

ومنها إلى نفوزة، وهذا الطريق سلكه العياشي في ذهابه إلى الحج وهذا يعتبر الشطر الأول من الطريق الصحراوي. أما الشطر الثاني فيمر عبر توات، حيث يأخذ طريق دغامشة[1]، ثم بلاد ايقسطن[2]، ثم أقروت ثم صحراء ازكر التي تعبر صحراء طويلة وشاقة لا يقطعها الركب إلا في 50 يوم[3]، وهي الطريق الذي مر منه ابن المليح[4] في ذهابه إلى الحج.

أما في طريق عودته سلكو طريق تيديكلت[5] إلى أن بلغوا وادي رسم الليل وتركوا طريق الذهاب إلى اليمين لشدة حروشتها وجذبها وقلة مائها وبعدها عن العمران[6]، بحيث يقع طريق العودة أسفل توات طريق آن صالح (عين صالح) [7] وصولاً إلى درعة جنوب المغرب مروًا على

---

[1] دغامشة: هي مجموعة من القصور على بعد 20كلم غربي دلدون. ينظر: مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص70.

[2] **ايقسطن**: كلمة بربرية وتعني باللغة العربية أمانتك للحفظ والجملة في صياغتها تحمل جملتين. ينظر: الشيخ محمد بلعالم باي: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام وأثار المخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، ج1، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص18.

[3] ابن مليح: **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب وإلى منتهى الآمال والمآرب سد الأعاجم والأعارب** ، تح: محمد الفاسي، طبع وزارة الدولة مكلفة بالثقافة والتعليم، 1968م، ص:31.

[4] ينظر الملحق رقم (01)، ص:112.

[5] تيديكلت: كلمة بربرية تعني كف أو راحة اليد وهو إقليم يقع جنوب هقار في وسط الصحراء. للمزيد ينظر: تومي سعيفات: **سكان تدكلت القدماء واتكال على النفس**، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص:19.

[6] كعبوش بومعين: (طريق الحج الصحراوي المغربي من خلال رحلة ابن مليح)، **المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الجلفة، مج12، ع1، جانفي 2010م، ص:231.

[7] **عين صالح**: تعتبر أهم مدينة في إقليم تيدكلت وهي مدينة تاريخية تضاربت التسميات حولها، فما هو يقارب صواب وما هو مغلطات تاريخية، فعين صالح هي اسم رجل كان تركه ركب الحج وكان مريضا فشفي من المرض فقام بحفر بئر سمت عليه، حيث قام بغرس النخيل وسمت عليه، أما من الأخطاء التاريخية أنها سميت على صالح باي قسنطينة في 1788م في حملته على توات وذكرها الشيخ العالم باي الرحلة العلمية إلى توات، والعجيب أن نجدها في مقالات بحث مجالات مثل مقالة الصحراء في أبحاث الشيخ المهدي بوعبدلي (إقليم توات نموذجًا). محمد برشان: **المرجع السابق**، ص:206.

تابلبالت وخنك وادي الساورة، وهذا الطريق سلكه الشيخ عبد الرحمان التيلناني[1] في ذهابة إلى الحج انطلاقًا من تانلان، تمنطيط إلى فزان[2].

1) مميزات الطريق الجنوبي الصحراوي

تطرق الرحالة عن مميزات هذا الطريق، رغم صعوبة مسلكها وبعدها عن العمران فهو مفضل لدى الحجاج وخاصة جزءه الغربي لأنه يحتوي على شبكة من طرق القوافل التجارية، فهو يمر على توات التي هي مجمع القوافل التجارية وخاصة القادمة من السودان المحملة بالذهب، فتوات يرخص فيها سعر الذهب، حيث يقول العياشي: "...**لما غلا الصرف الذهب في تافيلات أخروا الصرف إلى توات فإن الذهب فيها أرخص...وهي مجمع القوافل آتية من تنبكت**"[3]، أما جزءه الرابط بين توات وفزان فهو طريق تقل فيه الصعلكة وقطاع الطرق فهو فارغ، فابن مليح في ذهابه أنه التقى بقبائل التوارق، حيث تعاطوا معهم البيع والشراء[4].

2) صعوبات الطريق الجنوبي الصحراوي: أما الصعوبات التي تواجه الطريق بمسلكيه فهي متعددة، فالمسلك الجنوبي شاق، خاصة بين توات وفزان مسيرة خمسين يوم متعبة، حيث يصور لنا ابن مليح حالة الركب في هذا الطريق "**وقد انتفضت الجراب وعجزت الركاب، وماتت الرواحل لبعد المراحل وقد أشرف الناس فيها على المهالك**"[5].

---

(1) عبد الرحمان التيلناني: ولد بتينلان، من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح، بدا حياته العلمية بمسقط رأسه، درسه على عدة شيوخ في توات وسجلماسة، كان من مجتهدي المذهب المالكي في وقته، ترك عدة مؤلفات ولعل أشهرها: رحله الحجازية التي قام بها (1188هـ/1774م)، توفي في 29 صفر سنة 1189هـ/1775م من في مصر عند عودته من رحلته الحجازية، للمزيد حول شخصية الشيخ عبد الرحمان التينللاني ينظر: زهير قزان: **حاضرة توات المالكية: "أعلامها، نوازلها، وخصائصها"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، 2011م، ص:76.

(2) سهام بومعزة: دراسة المخطوط: (رحلة حجية لعام 1188-1189هـ/1774-1775م)، عودة تأليف عبد الرحمان التلاني، **مجلة المخطوطات الثقافية**، مج13، ع01، مارس 1018م، ص: 353.

(3) العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:79.

(4) ابن مليح: **المصدر السابق**، ص:32.

(5) **نفسه**، ص:32.

أما المسلك الثاني الذي سلكه العياشي كان هو الآخر محفوف بمخاطر الطريق خاصة الطريق الرابط بين أوقرت وورقلة لكثرة الرمل والزوابع الرملية، لهذا اكترى أمير الركب دليل ليدلهم على الطريق ومعاطن المياه، ومع هذا لقي الركب صعوبة في السير وخاصة في الطريق الرابط بين قرية والاّ[1] والمنيعة، حيث يقول العياشي: "... **نزلنا يوم العاشر على قرية يقال لها والاّ، بعد قطعنا قربها رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها، وقاسينا منها شدة ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا**"[2].

أما المسلك الرابط بين المنيعة وورقلة فهي أرض حرشاء جرداء لا علم فيها، مزقت من حروشها النعال وتأثر حوافر البغال والإبل، ولقي الركب فيها الجوع والعطش[3].

فالعياشي يصور لنا ما كابدوه من صعوبة المسالك والزوابع الرملية التي طمست عالم كل شيء حتى أصبح الرجل لا ينظر إلى أخيه فنالهم من العواصف الكثير، حتى أنها بقت أربعة ليالي متواصلة فشدة الكرب الذي وقعوا فيه كبير، حتى أنهم فرغ للناس الطعام والشراب، وكادوا يهلكون حتى أن الكثير منهم ضنوا أنهم لن يصلوا إلى ورقلة وأن الموت سيلاقونه في هذه البقاع[4].

فالظاهر من خلال دراسة الرحلتين أن الطريق الصحراوي الجنوبي بمسلكه كان طريق الحج تسلكه القوافل الحجية في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع وهذا من خلال الشواهد التي صورها كل من ابن مليح والعياشي فيما يخص الماء والعشب وتفتح الأزهار نباتات مثل الرتم لها زهر أبيض على وصف العياشي وهي تتفتح في بداية شهر فيفري[5].

---

[1] والاّ: قرية ذكرها العياشي لم تعد موجودة اليوم بعامل زحف الرمال، حيث ذكر العياشي أن قربها رمال كثيرة وحتى أنه وجد بها نخلات وعائلة، للمزيد ينظر: رحلة العياشي، **المصدر السابق**، ج، ص:107.

[2] **نفسه**، ص:107.

[3] **نفسه**، ص:125.

[4] مولاي بلحميسي: **المرجع السابق**، ص:82.

[5] رحلة العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:128.

الجدول رقم (02): يوضح رحلة العياشي عبر الصحراء الجزائرية في مسلك الجنوب العلوي[1].

محطات	تاريخ الوصول إليه	المسافة بين المحطات
الخروج من سجلماسة	10 ربيع الثاني 1072هـ/161م	/
الوصول إلى توات	الخميس 3.0 ربيع الثاني	20 يوم
الخميس 7 جمادي الأولى	الخروج من توات	البقاء في توات 8 أيام من أجل التزود
12 جمادي الأولى	الخروج من أوقرت	5 أيام
02 جمادي الثانية	دخول ورقلة	18 يوم
14 جمادي الثانية	نزول تقرت	12 يوم
18 جمادي الثانية	خروج من تقرت	4 أيام
23 جمادي الثانية	دخول الرياح واد سوف	5 أيام
1 رجب	دخول نفوزة	7 أيام
		المسافة الإجمالية التي قطعها العياشي الصحراء هي 81 يوم

[1] من إعداد الطالب اعتمادًا على رحلة العياشي. وينظر الملحق رقم (02)، ص: 113.

الجدول رقم (03): يوضح رحلة ابن مليح في عبور الصحراء الجزائرية في مسلك الجنوب السلفي[1].

محطات	تاريخ الوصول إليه	المسافة بين المحطات
الخروج من مراكش	1 صفر 1631هـ	/
الوصول غلى درعا	/	/
الوصول إلى تابلبات	/	12 يوم (8أيام و4 مراحل)
من تابلبالت	/	5 مراحل (5 أيام)
من توات إلى	/	17 يوم
من صحراء ازكر إلى فزان	/	50 يوم
		المسافة الإجمالية لرحلة ابن مليح 84 يوم

ثانيًا: لطريق العرضاني الأوسط (المار بالسهوب الجزائرية شمال الصحراء الجزائرية)[2].

يعتبر الطريق العرضاني الأوسط المار أفقيا بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي ذات المرعى والكلأ الوفير من أشهر الطرق الحجية المارة بالصحراء الجزائرية[3]، حيث أن هذا الطريق الذي يبدأ من سجلماسة في المغرب إلى حامة في بلاد الجريد، فهذا الطريق فالأركاب المغربية تسلكه وخاصة الركب السجلماسي، وقد سلكه كل من الحضيكي وأحمد الدرعي وعبد السلام وأبو العباس الهلالي

[1] من إعداد الطالب اعتمادًا على رحلة ابن مليح.

[2] ينظر الملحق رقم (03)، ص:114.

[3] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518–1830م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، الجزائر، 2018م، ص:130.

السجلماسي وابن الطيب الشرقي، وذكره العياشي في عودته من الحج، فهذا الطريق كما أسماه ابن أبي محلي بطريق الصعاليك[1]، حيث حج معه مجموعة من الصعاليك[2]، فهو يبدأ كما أسلفنا الذكر من سجلماسة إلى القنادسة (أو العونية) ثم فقيق وكزاز، بسمغون[3]، الغاسول، عين ماضي[4]، تاجموت، الأغواط[5]، سيدي خالد، بسكرة، وهي أول محطة خارجية تجتمع فيها الأركاب المغاربية كلها[6].

---

[1] عبد المجيد قدوري: **ابن أبي محلى الفقيه التأثر ورحلته الأصليت الخريت**، د ط، منشورات عكاظ، الرباط، 1991م، ص:94.

[2] ينظر: الملحق رقم (04)، ص:115.

[3] **بوسمغون**: تقع في الجنوب الغربي الجزائري في ولاية البيض، تبع 160كم عن مقر الولاية، تقع بين خطي عرض 32-33 درجة بالقرب من خط غرينتش، وقد سميت على اسم ولي صالح. للمزيد ينظر: منى دحماني: **قصر بوسمغون بولاية البيض "دراسة أثرية تحليلية"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، إشراف علي حملاوي، 2005/2004، ص:13.

[4] **عين ماضي**: مدينة تقع جنوب جبل رداد وهي جزء من سلسلة جبال العمور، تبع مسافة 72 كم غرب مدينة الأغواط، ونحو 472كم جنوب العاصمة الجزائر، وهي إحدى دوائر مدينة الأغواط، للمزيد حول المدينة وتاريخها وتركيبتها الاجتماعية ينظر: التلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي في الجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) (1782-1900م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث ومعاصر، إشراف الأستاذ: نصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، إشراف: 2003، ص ص57، 58.

[5] **الأغواط**: واحة جزائرية تبعد عن العاصمة الجزائر 400 كم، تنتشر على الضفة اليمنى لواد مزي، موقعها الفلكي على خط 33-48 درجة شمالا، وخط طول حولي 3 و53 شرقا، حيث تعددة أصل كلمة الأغواط، فمنهم من يرجعها إلى أصل كلمة غوط وتعني المنزل المحاط بالبساتين، ومجموع غوط أغواط.للمزيد ينظر: فاطمة دحاج: **مجتمع الأغواط خلال القرن (13هـ/19م) من خلال الكتابات الفرنسية "دراسة تاريخية"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد عب الرؤوف ثامر، جامعة الوادي، 2019/2018م، ص ص: 21، 22.

[6] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص: 129.

1) مميزات الطريق الحج (العرضاني الأوسط)

يعتبر هذا الطريق من أشهر الطرق الحجية الصحراوية لما يحتويه على مميزات هامة، حيث أنه يعج بحركة القوافل الحجية، ونذكر من مميزاته:

- الطريق يقطعه ركب الحج المغربي في حدود 40 يوم[1]، مقارنة مع الطريق الجنوبي الذي يقطعه الركب في 80 يوما أو أكثر[2].
- الأسواق التي كانت تقام على طول الطريق سواءً في المدن والحواضر التي تمر عليها الأركاب المغاربية أو الأسواق الجانبية التي كانت بين الأعراب وركب الحجيج للتزود والانتفاع بين الطرفين، حيث نجد كل الرحالة المغاربة يتكلمون عن الأسواق التي تقام بين الأعراب والأركاب[3].
- اشتهر هذا الطريق بكثرة الماء وتعدد المنابع والعيون وكثرة الوديان التي تعتبر محل توقف الحجاج لتزود والشرب، فلا نجد رحلة إلا وذكرت حاضرة من حواضر الصحراء في الطريق العرضاني الأوسط وعن معاطن المياه ونوعيتها بين عذوبتها وأجاجتها[4].

---

[1] ينظر الجدول رقم (04). ص: 60.

[2] ينظر الجدولين رقم (02)، ص:56، والجدول رقم (03)، ص:57.

[3] ينظر: عبد السلام الدرعي: المصدر السابق، ص: 187، 206، 280. وينظر أيضًا: عبد العزيز الهلالي السجلماسي: المصدر السابق، ص: 135، 136، 144.

[4] سنحاول أن نفصل في المبحث الثالث أهمية الماء من خلال الرحلات، حيث نحاول أن نتوسع فيه.

الجدول رقم (04): يوضح الطريق العرضاني الأوسط والمدة التي يقطعها الحجاج المغاربة[1]

الرحلة / المحطات	الدرعي	السجلماسي	ابن الطيب الشرقي	أحمد بن ناصر الدرعي
خروج من سجلماسة	السبت26 جمادى الثانية	الخميس 22 جمادى الثانية	4 رجب	10 جمادى الثانية
القنادسة (العوينة)	/	23، 24 جمادى الثانية	/	21 جمادى الثانية
فقيق	/	27 جمادى الثانية	/	22 جمادى الثانية
كرزاز	/	7 رجب	/	23 جمادى الثانية
المشرية	/	/	11 رجب	30 جمادى الثانية
بوسمغون	/	12 رجب	/	03 رجب
ربوات	/	14 رجب	/	/
الكراكدة	/	15 رجب	/	06 رجب
الغاسون	رجب	16 رجب	/	09 رجب
عين ماضي	9 رجب	17 رجب	/	10 رجب
تاجموت	/	18 رجب	/	11 رجب
الأغواط	14 رجب	19 رجب	/	12 رجب
دمد	/	21 رجب	/	16 رجب
سيدي خالد	20 رجب	25 رجب	/	20 رجب
أولاد جلال	/	26 رجب	/	/
أومليلي	/	27 رجب	/	/
بسكرة	30 رجب	28 رجب	4 شعبان	25 رجب
الخروج من بسكرة	3 شعبان	/	/	29 رجب

[1] من إعداد الطالب اعتماداً على رحلة الدرعي والسجلماسي وابن الطيب الشرقي.

سيدي ناجي	/	/	8 شعبان	02 شعبان
الشبيكة	/	30 رجب	11 شعبان	03 شعبان
الحامة	7 شعبان	1 شعبان	12 شعبان	04 شعبان
عدد الأيام	40 يوم	37 يوم	38 يوم	39يوم

2) صعوبات الطريق العرضاني الأوسط: اعترضت الأركاب المغاربية المارة على الطريق الصحراوي (العرضاني الأوسط) عدة صعوبات، سواءً كانت هذه الصعوبات متعلقة بطبيعة التضاريس أو تساقط الأمطار، فكثيرًا ما يصور لنا الرحالة صعوبة المسالك في بعض المناطق حيث يقول السجلماسي: ".. **بعد أن كابدوا في طريقهم الحجارة والرمل وما يضعف على الاحتمال واكتلئت فيه النعال والجمال**"[1]، وهذا ما يؤكده عبد السلام الناصري حيث يقول: "..**ثم ارتحلنا ووقعنا في سبخة عظيمة ما تعديناها حتى قارب الزوال**"[2]؛ ونفس الانطباع سجله ابن الطيب الشرقي حين تهاطلت عليهم أمطار غزيرة، وغمرتهم مياه الوادي في منطقة بسكرة حتى تلف الكثير من المتاع[3].

ثالثًا: طريق الركب الشنقيطي:

يعتبر الركب الشنقيطي من الأركاب المغاربية التي تمر بالصحراء الجزائرية بأقصى الجنوب، وتعتبر رحلة الحاج البشير البرتلي[4] (1785م) أقدم رحلة مدونة خرجت من بلاد شنقيط[5]، فغالب ما

---

[1] عبد العزيز السلجماسي: **المصدر السابق**، ص:131.

[2] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج2، ص: 902.

[3] بن الطيب الشرقي: **المصدر السابق**، ص:98.

[4] الحاج البشير البرتلي هو الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي، كان – رحمه الله- من عائلة علمية وكان أمين، بحيث كانت تودع عنده أمانات الناس، تولى القضاء، قام برحلة حجازية سنة 1785م ذكر فيها مراحل طريق الحج من بداية من بلاد شنقيط إلى الحرمين الشريفين مرورًا بتوات، لقي الكثير من العلماء والصالحين. ينظر: : أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**. تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، ص: 83.

[5] جلول بن قومار: (هاجس الأمن عند ركب الحج المغاربة)، **مجلة الحوار المتوسطي**، مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، مج8، ع2، ديسمبر 2017م، ص13.

كان الركب الشنقيطي يسلط طريق مالي إلى السودان (الخرطوم) ثم إلى الحجاز، مثل رحلة محمد الأمين الشنقيطي[1].

أما رحلة الحاج بشير البرتلي سلكت طريق ولاتة، توات وهو المسلك الذي يسلكه الركب المنطلق من ولاتة، حيث خرج الركب منها يوم 25 صفر 1204هـ/1785م ضمن ركب الحج يضم مجموعة كبيرة من أكابر ولاتة ومقدميهم، فالبرتلي يذكر أن الركب انطلق من ولاتة إلى تنبكتو في مالي ليتجه شمالا إلى توات، مرورا بقرية المبروك وبوجبيهة[2] إلى توات التي تعد محطة هامة لركب الحجيج القادم من بلاد شنقيط[3]، من أجل الالتقاء مع الركب التواتي والمغربي لمواصلة الحج عن طريق تيدكلت إلى فزان، فالتكتل المغاربي يعطي قوة للركب بحيث يصل إلى ألفين جمل مقسمة إلى مائة جمل على كل فرقة أميرا للركب[4]، فرحلة الحاج البشير البرتلي أعطتنا الكثير عن صحراء تازروفت في الصحراء الجزائرية، فهي تعد المصدر العربي الوحيد الذي تطرق إلى هذا القطر الجزائري، بحيث يذكر أن هذه الصحراء لا تسلكها القوافل إلا نادرًا وخاص في فصل الصيف فقد سماها الفرنسيين بصحراء العطش لانعدام الماء فيها، وهي أخطر وأصعب مرحلة بين أزواد وتوات، فصحراء تازروفت أرض حصوية خشنة مستوية لا شجر فيها ولا نبات ولا حيوان[5]، حيث قطع الركب الشنقيطي هذه

---

(1) جلول دوامي عبد القادر: أعلام آداب الرحلات المغربية (رحلة الأمين الشنقيطي إلى الحج)، **مجلة تاريخ العلوم**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، ع06، 2017م، ص:181.

(2) ينظر الملحق رقم(05)، ص:116.

(3) مبارك جعفري: **التواصل العلمي بين منطقة توات بالجنوب الجزائري وحاضرتي ولاتة وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)**، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر والساحل الإفريقي بين القرني (16-20م)، المنعقد بومي 15-16 أكتوبر 2017م، بجامعة الجزائر، ص:04.

(4) عثمان حساني: **البيئة الاجتماعية والإقتصادية لصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين (18-19م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: بن يوسف سليماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2006م ص:69.

(5) عمرو عبد العزيز منير عبد الرحمان بن محمد باعثمان: **طرق الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة (1214هـ/1800م)**، ص:07-08.

المرحلة الصعبة في مدة أسبوع كامل ليصل الركب إلى أول منبع مائي، على مشارف قرية ولن، في إقليم توات التي تعتبر مركز إستراحة للركب، ومن تم مواصلة الرحلة الحجية مع الركب التواتي عبر مسلك مدينة عين صالح في إقليم تيدكلت إلى فزان في ليبيا[1].

الجدول رقم (05): يوضح طريق الركب الشنقيطي بالاعتماد على رحلة البرتلي[2]

المحطات	الحاج البشير البرتلي
خروج من ولاتة	25 صفر
الوصول إلى قرية بوجبيهة في أزواد	13 جمادى الأولى
الوصول إلى قرية مبروك	29 جمادى الأولى
الوصول إلى قرية ولن	04 جمادى الثانية
الوصول إلى اقبلي	05 رجب
الخروج من عين صالح	12 رجب
الوصول إلى اوباري	15 رجب
المجموع	**74 يوم**

[1] عمرو عبد العزيز منير عبد الرحمان بن محمد باعثمان: **المرجع السابق**، ص: 08.

[2] من إعداد الطالب اعتمادً على رحلة الحاج البشير البرتلي.

المبحث الثالث: أهمية الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية القرنين (11-12/ 17-18م)

يعتبر الماء أهم مقومات الحياة في الصحراء الجزائري، حيث أن الكثير من الحواضر والمدن قامت على حواف الأودية والشطوط والآبار، وكثيرًا ما صورت لنا الرحلات الحجازية صورة عن أنماط الماء وأنواعه فالرحالة لا ينزلون منزلا إلا وكان الماء أهم مرتكز لرحلاتهم.

أولاً: مياه الأودية من خلال الرحلات الحجازية:

اشتهرت أسماء الأودية على طول الطرق الصحراوية، سواءً الجنوبية أو طرق السهوب، فأهمية مياه الأودية تكمن كلما اتجهنا جنوبا وهذا لصعوبة التضاريس والمناخ، فرحلة العياشي تعتبر فهرسة للأودية التي مر بها في الصحراء الجزائرية، فهو يعطي صورة متكاملة عن الأودية انطلاقا من وادي جير[1]، وادي مقيدن والذي سماه العياشي مكيدن والذي فيه معاطن المياه، حيث امتدحه العياشي لكثرت الماء فيه على لسان عرب تلك الناحية.

واد مكيدن مانعطش فيه كل يوم نجي على الماء[2].

أما ابن مليح الذي سلك الشطر الثاني من الطريق الصحراوي الجنوبي الذي يمر على صحراء ازكر القاحلة فيصور لنا معاطن الماء والأودية حيث يقول: "**نزل على مورد يقال له واد تاخملت... ذي أشجار كثيرة مختلفة الأجناس**"[3].

أما الطريق العرضاني الأوسط فهو كثير الأودية، دائمة الجريان انطلاقا من وادي الساورة[4]، إلى وادي غسران في الجنوب الشرقي، فجغرافية المنطقة التي هي بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي

---

[1] **وادي جير**: ويسمى اليوم وادي تقير، حيث وصفه العياشي على أنه واد كبير، كثير الأشجار، قليل الأحجار، تجتمع فيه السيول من أماكن بعيدة. للمزيد ينظر: أبو سالم العياشي، **المصدر السابق**، ج1، ص: 76.

[2] **نفسه**، ص: 107.

[3] ابن مليح: **المصدر السابق**، ص: 32.

[4] قادة الدين: (أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية)، **في مجلة قضايا تاريخية**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ع7، 2017م، ص: 71.

رسمت طبوغرافيا للأودية، ومن أمثلة هذه الأودية: واد الحجاج، حيث يقول الناصري: "**وجدانه ممتلئ بالأمطار**"[1].

ثانيًا: الآبار والعيون من خلال الرحلات الحجازية:

تعتبر الآبار من المعاطن الأساسية والحيوية في الصحراء الجزائرية، حيث لعبت دورًا هامًا في تحديد مسار الطرق الحجازية، وحتى قيام بعض الحواضر التي قامت على آبار وهذا ما نلمسه في تسميات بعض الحواضر الصحراوية والتي بقيت إلى اليوم تحمل هذا الاسم، حيث أخذت أسماء من حفروها[2]، فالرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية تطرقت إلى أخبار الماء وإلى الآبار المنتشرة على طول المسلكين الصحراويين وذكر حلاوة ومرارة وقرب وبعد المياه وكيفية استخراجها، حيث أصبحت محل توقف الحجاج عن السير للراحة والتزود[3].

تنوعت الآبار على المسلك الجنوبي، ولعبت دورًا هامًا وعنصرًا أساسيًا، حيث عدت في نظر البعض مقابلة الحياة[4]، حيث كثيرًا ما قام الحجاج بحفر الآبار على طول هذا المسلك وهذا ما يذكره ابن مليح"**.. واد يعرف بافلساف، كثير الشجر والكلأ ليس فيه إلا بئر واحدة، حفر أهل الركب بئر أخرى**"[5]، حيث اشتهرت بعض الآبار مثل عوينات الحجاج، أما العياشي في الشق الثاني من المسلك الجنوبي فيعطينا صورة موسعة عن أنواع الآبار فتطرق إلى نظام الفقارة [6].في توات الذي يعتبر

---

[1] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص: 70.

[2] مثل: عين صالح، حاسي مسعود، عين ماضي، وغيرها.

[3] أحمد بوسعيد: **المرجع السابق**، ص: 162..

[4] رشيد حفيان: **المرجع السابق**، ص: 45.

[5] ابن مليح: **المصدر السابق**، ص:31.

[6] الفقارة: هي مجموعة من الآبار المتقاربة والمتصلة مع بعضها البعض عن طريق خندق أرضي يمتد خارج القصر على مساحة تزيد عن 5 كلم. للمزيد ينظر: تياقة صديق: الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وكيهلة الاجتماع البشري في القصر من خلال نظام الخراصة (قراءة سوسيولوجية لمجتمع توات، أدرار)، **المجلة الخلدونية**، جامعة تيارت، مج06، العدد01، 2017م، ص: 280.

من عجائب هذا الإقليم فهي غريبة في شكلها وتخطيطها وهندستها وماءها دائم الجريان، حيث ساعدت ذلك طبوغرافيا تادمايت المنحدرة من إقليم توات[1].

أما في مدينة ورقلة فيقومون باستخراج ماء الآبار بطريقة مختلفة، حيث يقومون بحفر بئر نحو 50 متر فيصلون إلى حجر فيقومون نقره فيفيض الماء، فيضان قوي يمتلئ البئر بسرعة فتصير عينا ويسمى جدول، حيت يصور لنا العياشي قوة الماء المتدفق من تلك الآبار، فالشخص الذي يقوم بنقر الحجر إن لم يسحب بسرعة، فمصيره الغرق فيقول العياشي: ".. **فإن لم يتدارك الحافر بالجذب أغرقه الماء**"[2].

أما في واد سوف فمائها غزير حلو مذاق قريب من الأرض، بحيث أن الحجاج إذا أردوا الماء حفروا في الأرض فإنهم يصلون إلى الماء بسرعة وخاصة قربة السبخة[3].

أما في الطريق العرضاني الأوسط فقد أولى الرحالة للماء اهتماما كبيرًا، لأنه يشكل نقطة أساسية لسالكي هذا الطريق، حيت نقلو لنا معلومات في غاية الأهمية عن الماء والعيون والآبار وخصائصها من عذوبتها ومرارتها وملوحتها، فعبد الناصري يعطينا صورة عن هذا المسلك حيث يقول: "**فمررنا بالعرجا واد ليس فيه ماء، ثم بئر ابن حسون وماءه صالح**"[4].

أما عن أهمية الماء لدى الناس حيث عرضت على الناصري نازلة حلف اليمين الطلاق على امرأة لم تسقي الماء، فالماء كان محور الحياة في الصحراء، حيث وصل الأمر إلى الاقتتال عليه، وهذا ما ذكره السجلماسي في قرية بوسمغون، حيث أنه أصلح بين قريتين متصارعتين على الماء، "..**وفي هذه**

---

[1] صالح بوسليم: **إقليم توات، المرجع السابق**، ص: 140.

[2] العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:118.

[3] **نفسه**، ص: 124.

[4] الناصر: **المصدر السابق**، ج1، ص: 191..

البلدة قريتان يقع القتال بين أهل كثيرًا والعياد بالله..." تحاكم إلي الفريقين ... كان خصامهم على عيني ماء، أحدهما تسمى مالة والأخرى عين القدح"[1].

فالرحالة الذين سلكوا هذا الطريق لا ينزلون منزلا ولا رسم إلا تكلموا على الماء لأن المسيطر على الماء مسيطر على الصحراء.

الجدول رقم (06): يوضح أسماء الوديان والآبار والعيون المنتشرة على طول الطرق الصحراوية[2].

المسلك العرضاني الأوسط				المسلك الجنوبي الصحراوي			
الآبار وعيون	نوع الماء	الأودية	نوع الماء	الآبار وعيون	نوع الماء	الأودية	نوع الماء
القنادسة	عيون غير عذبة	واد الصفصاف	مالح	قرى بني عباس	ماء ساقية عذب	وادي جير	غير عذب
التوميات	عذبة	واد الساورة	مالح	فقارات في توات	ماء عذب	وادي مقيدن	عذب كثير المياه
الرباوات	عيون لا باس بها	واد العرجة	ليس به ماء	المنيعة	عذب وكثير	واد جان	عذب
قرية رأس الجبل	بئر عذبة	واد الحجاج	عذب	زيرارة	طويلة وعذبة		
أولاد جلال	آبار عذبة	واد الناموس	غير عذب	ورقلة	غزيرة عذبة		
الزاب	ماء عذب	واد القصب	عذب	رباح	عذبة		
عين أوماش	غير عذب	واد لخنافس	أجج	الجرف	غير عذبة		
بسكرة	كثيرة وعذبة	واد لكراكدة	عذب	تابلبالة	عذبة جارية		
		واد الحوت	عذب	عوينات الحجاج	عذبة		
		واد الغسران	غير عذب	بئر سيدي موسى	عذبة		

[1] الهلالي السجلماسي: **المصدر السابق**، ص: 165.

[2] من إعداد الطالب اعتمادا على الرحلات الحجازية المغربية.

من خلال الجدول يتضح أن الطريق العرضاني الأوسط تكثر فيها الوديان وخاصة في جانبه الشرقي، حيث أن جغرافية المنطقة التي بين سلسلة الأطلس التلي والجنوبي، أما المسلك الجنوبي الصحراوي فتكثر فيه الآبار.

وكثيرًا ما تعنى الألطاف الإلهية بأمطار ويفرح الحجاج بذلك فرحا شديدا تعنيهم عن تتبع معاطن المياه على طول الأودية ويعطيهم دفعا في المسير وهذا في المسلكين الصحراويين، حيث يذكر العياشي "... **وكان من فضل الله علينا أن عجزت الألسن عن شكره وحارت العقول عن كنت أمره ... ذابت الرمال حتى صارت كالتراب**"[1].

ونفس المشهد نقله لنا أحمد بن ناصر الدرعي بعد أن لقوا العطش قرب بسكرة، فزلت عليهم أمطار ففرحوا بها[2]، ولذلك حرصت القوافل الحجية أن تقطع الصحراء الجزائرية في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع،فالصحراء موحشة تتطلب الكثير من الماء من أجل المرور بها.

[1] العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص: 124.

[2] أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص: 134.

خلاصة الفصل

يعتبر الماء ذو أهمية كبيرة في تشكل الحواضر الصحراوية، فتكونت ذلك مسالك وطرق بين هذه الحواضر، فحاولنا من خلال هذا الفصل إعطاء صورة لأهم الحواضر الصحراوية التي تمر عليها القوافل الحجية، والطرق والمحطات التي توقف بها، فتطرقنا إلى مسالك، مثل طرق الحج الصحراوية فذكرنا الرحالة الذين سلكوه مثل ابن المليح، الذي قطعه في جزئه السفلي وكانت تطرقه القوافل القادمة من بلاد شنقيط، والعياشي في جزئه العلوي الذي يقطع في أكثر من 80 يوم، فتطرقنا إلى مميزات هذا الطريق والصعوبات التي تعتريه، والأمر ينطبق أيضًا على الطريق العرضاني الأوسط الذي كانت تسلكه القوافل الحجية القادمة من سجلماسة وفاس ومراكش والتي كانت تقطعه القوافل في حدود 40 يوما مع ذكر مميزات وصعوبات هذا المسلك

وتطرقنا أيضًا إلى أهمية الماء في جميع المسالك التي تمر عليها القوافل الحجية التي صورت لنا مواطن ومعاطن المياه وذكرنا الحلوة والمرة منها، محاولين إعطاء صورة جغرافية حول الصحراء الجزائرية وذلك من أجل التطرق في الفصل الموالي حول الحياة ومختلف تفاعلاتها في الصحراء الجزائرية وذلك من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م).

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)

المبحث الأول: الأوضاع السياسية الصحراوية الجزائرية

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية في الصحراء الجزائرية في 17 و18 من خلال الرحلات الحجازية

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في الصحراء من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12/ 17-18م)

المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12/ 17-18م)

كثيرًا ما توقفت القوافل الحجية في الحواضر الصحراوية أيامًا طوالا، فرسموا من خلالها الحياة في الصحراء الجزائرية بمضامينها المختلفة، فأعطونا إشارات حول الحياة السياسية، حاولنا من خلالها إعطاء صورة عن هذه الحياة، فالصحراء الجزائرية كانت فضاء مفتوح، غابت فيه معالم الدولة الحديثة والحدود السياسية، والتي عرفتها المنطقة مع الاستعمار الفرنسي فقط، فحاولنا رسم الخارطة السياسية هذه في المبحث الأول، أما في المبحث الثاني فطرقنا إلى الحياة الإقتصادية، فالصحراء كانت مركز راحة وإستراحة ومكان تزود الرحالة من أجل إكمال رحلة الحج، فالأكيد أن هذه التعاملات التجارية ينتج عنها ملاحظات عن الحياة الإقتصادية والاجتماعية لحواضر الصحراوية ضمنها الرحالة في كتبهم، وبما أن الرحالة ينتسبون إلى رحاب التصوف فضروري أنهم تفاعلوا مع إخوانهم من العلماء والصلحاء وزاروا قبورهم وأضرحتهم بنية التبرك فأعطونا مادة غزيرة عن الحياة الثقافية في الصحراء الجزائرية، وهذا ما سنحاول أن نرسمه في هذا الفصل.

ألقت الرحلات الحجازية الكثير من الأضواء على الحياة في الصحراء الجزائرية، حيث لم يقتصر اهتمامهم على الجانب الروحي والمعرفي، بل تعدى إلى وصف الحواضر والمدن الصحراوية فمرورهم لم يكن مجرد عبور سريع، حيث أقاموا شهور[1]، وأقاموا علاقات مع هذه الحواضر والبوادي وأعطوا لنا مادة خام من أجل الكتابة التاريخية[2] في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية[3] وخاصة أن جل الرحالة اخترقوا الصحراء لعدة مرات فهم يعرفون طباعها وكل خباياها.

---

[1] حنفاوي بعلي: **صحراء الجزائر الكبرى في ضلال اللوحات وفي الكتابات الغربية**، دار دروب لنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2016م، ص:55.

[2] عبد الحفيظ حمى: (صحراء الجزائر في كتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، **مجلة العبر للدراسات التاريخية**، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة تيارت، مج03، ع03، جانفي 2020، ص:157.

[3] صالح بوسليم، محمد الزير: ملامح من الحياة العامة بالجزائر من خلال كتب الرحلات، **المرجع السابق**، ص:80.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الصحراء الجزائرية خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)

تعتبر الصحراء الجزائرية أرض مترامية الأطراف ومتنوعة التضاريس، قاحلة موحشة، بعيدة ومتقطعة العمران، غابت فيها مركزية السلطة وأدى هذا إلى فراغ سياسي، الأمر الذي ملأته قطاع الطرق والصعاليك والطرق الصوفية، فسميت ببلاد السيبة[1]، لكن بعض الحواضر الصحراوية عرفت نوع من الأنظمة سواءً كانت محلية مثل ورقلة، أو تابعة روحيا للمغرب (توات)، أو تبعية مباشرة مثل بسكرة، وهذا ما نعرج عليه في عرضنا لبعض الحواضر الصحراوية.

أولاً: توات والجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية:

خضع الإقليم الغربي بما فيها توات إلى نظام محلي، حيث شكلت توات فسيفساء من المدن أو الحواضر سميت بنظام القصور[2]، فهي متناثرة في الجنوب الغربي وإقليم توات، فهذا الإقليم هو محل جدل تاريخي بين الجزائر والمغرب حول أحقيته فالمؤرخون المغاربة يسمونه الصحراء الشرقية[3]، لمزامع تاريخية واهية يستندون عليها وهي أنها إرث موحدي ومريني[4]، تم الغزو السعدي في حملتين 1583 و1589[5]، هذه الأخيرة كان الهدف من غزو المنطقة جعلها كقاعدة من أجل غزو السودان

---

[1] **بلاد السيبة:** يقصد بها المناطق المجردة من أي خضوع أو ولاء لأي سلطان مدني، وهي المناطق المعروفة بصعوبة الاختراق جغرافيتها وقلة موردها، فالسيبة لم تكن تحمل مذلولا اقتصاديا فحسب من خلال التهرب عن تقديم الضرائب، بل كانت تعبر أيضا عن رفض الانصياع لأوامر السلطة، وهي باختصار وضعية اللا دولة. للمزيد ينظر: محمد برشان: **المرجع السابق**، ص:215.

[2] **نظام القصور:** أنشئ في الأصل لنزول أفراد القبيلة الواحدة فهو بمثابة وحدة إدارية مستقلة وله إمكانيات اقتصادية وإدارية ودفاعية. للمزيد خضر فرج محمد فرج: **المرجع السابق**، ص:31.

[3] محمد ماكمان: **المرجع السابق**، ص:144.

[4] صالح بوسليم: **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية:** المرجع السابق، ص: 67.

[5] عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1972م، ص:731.

1591 ونشر النفوذ السعدي ومناهضة النفوذ العثماني[1]، وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي[2] دخلت البلاد في فوضى بين أبناء المنصور وتراجع النفوذ السعدي على توات رغم وجود بعض قواده وممثلين لهم، فقد وجد السلاطين السعديين في توظيف النسب الشريف فرصة في خدمة التوسع في الجنوب الغربي واستغلوا المساندة الشعبية[3] المتمثلة في الولاء والروح لآل البيت[4] في كل من توات وقرى الساورة[5] ببني عباس التي ارتبطت لدى المؤرخين المغاربة بابن محلي[6].

لم تتوقف الأطماع المغربية في الصحراء الجزائرية حيث وصلت حمى الغزو المغربي في عهد العلويين إلى الأغواط وعين ماضي[7]، بعد أن عتى في الأرض فساد في عهد محمد بن علي الشريف[8] وفي عهد

---

[1] عبد الرحمان المودن: **تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعدي للسودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث**، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مراكش، المغرب، 23-25 أكتوبر 1992م، ص:15.

[2] **أحمد المنصور الذهبي**: هو السلطان المغربي الذي تولى الحكم بعد معركة وادي المخازن (1578م)، حيث لقب بالمنصور للنصر الذي ظفر به في المعركة، حيث كان إداريا مميزا وسلطانا ذكي، قام بالحملة على السودان (1591م وجلب الذهب وسمي بالذهبي توفي (1603م) اثر مرض الطاعون. ينظر: محمود علي عامر ومحمد خير الدين فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبيا)**، دار الشرق، جامعة دمشق، سوريا، 2000م، ص:55. وينظر أيضًا: المجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمارتية**، تح: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل، مركش، المغرب الأقصى، 1994م، ص:63.

[3] يذكر ابن محلي في الاصليت أن عبد القادر السماحي أراد أن يجمع الناس عليه فأخرج رجل اسمه عبد الرحيم وقدمه لناس على أنه مولاي زيدان من أجل جمع الناس عليه مستغلا النسب الشريف. ينظر: ابن محلي: **المصدر السابق**، ص:48.

[4] صالح بوسليم : **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية**: المرجع السابق، ص: 66.

[5] يذكر العياشي أن قرى الساورة كانت تابعة لأمير محلي له سلطة على المنطقة، حتى قطاع الطرق واللصوص يخشونه، حيث أنه وجد له خيول في البراري دون حارس. ينظر: أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:78.

[6] كثيرًا ما يربط المؤرخون بأن قرى بني عباس هي امتداد للمغرب انطلاقا من قول العياشي أن ابن أبي محلي كان يقيم بها، لكن ابن محلي انه نزح إلى الساورة بعد خراب سجلماسة وهي مسقط رأيه. للمزيد ينظر: ابن أبي محلي: **المصدر السابق**، ص: 39. وينظر: العياشي: **المصدر السابق**، ص79.

[7] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**، ج7، تح: محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص:21.

[8] محمد بن علي الشريف: يعتبر مؤسس الدولة العلوية، حيث تولى الحكم 1640-1664م)، حيث قام بعدة معارك على المستوى الداخلي مثل القضاء على الحركات المنافسة (السملاليين، الحركة الدلائية)، أما على الصعيد الخارجي فقام بحملات كبيرة

المولي إسماعيل قام بعدة محاولات من أجل ضم توات ومنطقة الساورة، حيث تمكن المولى إسماعيل من السيطرة وضم قصر بوسمغون على يد أحد أبناءه وأقام عليه حامية عسكرية بقيت قائمة ما بين 1710-1713م وذلك من أجل السيطرة على المناطق الجنوبية الغربية[1] مستغلين ضعف العثمانيين من جهة ومن جهة أخرى خوف القبائل من الحملات التخريبية مثل الحملات السعدية، إضافة إلى ذلك استغلال النسب الشريف، حيث بقيت تعلن الولاء للسلطان المغربي وهذا ما يؤكده العياشي عند مروره بتوات وأوقروت[2].

بعد وفاة المولى إسماعيل ودخول المغرب في فوضى تراجع النفوذ المغربي في الجنوب الغربي الجزائري إلى أن استقلت عن النفوذ المغربي في 1830م، حيث هب أهل توات إلى الدفاع عن الجزائر مع إخوانهم ضد الاستعمار الفرنسي[3]، وهذا ما يؤكد الروابط التاريخية بين الشمال والجنوب[4]، فبعد 1830م تركت توات والإقليم الجنوب الغربي يواجه الاستدمار الفرنسي وحده، حيث كانت توات

= على الصحراء الجزائرية وصولاً إلى بلاد الجريد، وقد نقلت المصدر حجم الخراب الذي خلفه هذا الغزو فترك المنطقة في فقر شديد وفراغ سياسي رهيب وطاعون. للمزيد ينظر: نصيرة كلة: التطورات السياسية في المغرب الأقصى (1640-1727م)، **مجلة القرطاس**، جامعة تلمسان، ع6، جوان 2017م، ص46.

[1] محمد الكبير الفقيقي: (حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث)، **المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ**، جامعة معسكر، ع09، ديسمبر 2014م، ص:311.

[2] ذكر العياشي أن الدعاء للسلطان العلوي في منطقة أوقروت وتوات وأنها في طاعته ويتعاملون اقتصاديا بعملة العلويين. للمزيد ينظر: أبو سالم العياشي: **المصدر سابق**، ج1، ص: 79.

[3] صالح بوسليم: **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل، المرجع السابق**، ص:69.

[4] الروابط بين الشمال والجنوب الجزائري كانت قبل 1830م، والمتمثلة في حركة القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وحركة التواصل العلمي والثقافي والرحلات الداخلية، بل وقبل ذلك حيث تذكر المصادر أن وفد من أتراك الجزائر قدم إلى توات بدعوة من أهلها 1579م من أجل البث في مسائلة الانضمام إلى الحكم المركزي في الجزائر، ثم زيارة أخرى 1582م قادها باي طرابلس، جعفر باشا، مع وفد من علماء المالكية واستقبلوا أحسن استقبال في توات، حيث مكثوا سكنة كاملة. للمزيد ينظر: أحمد بوسعيد: **إقليم توات اجتماعيا وثقافيا (12هـ/18م)، المرجع السابق**، ص:29.

خلفية لعديد من الثورات الشعبية مثل بشوشة والشيخ بوعمامة إلى أن استقر الاستدمار الفرنسي فيها في بدايات القرن العشرين[1].

لو سلمنا جدلا تبعية توات السياسية للمغرب انطلاقا من قول العياشي فهي لا تعدوا أن تكون تبعية روحية لا أكثر، فمسألة الدولة الحديثة ذات الحدود السياسية لم تكن موجودة وجاءت مع المستعمر فقط، والسؤال المطروح هو كيف لحاضرة كبيرة مثل توات لم يقم بها سلطان أو ملك محلي مثل سجلماسة في المغرب رغم ما تحتويه من مقومات حضارية تجعلها قوة في الصحراء الكبرى؟.

ثانيًا: حاضرة وادي ريغ ورقلة من خلال الرحلات الحجازية:

أعطت الرحلات الحجازية صورة شاملة حول طبيعة النظام السياسي في ورقلة ومنطقة وادي ريغ، فالمنطقة قائمة في حواضرها على نظام المشيخة[2]، حيث كانت عائلات كبيرة ورثت المشيخة لأبنائها، ففي مدينة ورقلة كانت تحت سلطة مشيخة بن علاهم[3]، حيث لم يقتصر حكمها على مدينة ورقلة؛ بل تعداها حتى مدينة المنيعة، فهي تابعة لسلطان ورقلة بن علاهم، حيث أنه أسود حافي القدمين رغم بساطة منظره فهو ذو مكانة كبيرة والناس يحتكمون إليه، حيث يقول العياشي

---

[1] محفوظ رمرم : (الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية)، **في مجلة الحوار الفكري**، مخبر الدراسات الافريقية للعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة بشار، 2008م، العدد11، ص:66.

[2] **المشيخة** : هي مظهر من مظاهر الولاء الاجتماعي في المجتمعات التقليدية؛ بل تتعدى المظاهر الاجتماعية؛ بل يتعداه إلى خصائص سياسية وإقتصادية يجعل مقتضيات المعاش وضروريات الأمن وهي مرحلة ما قبل الدولة في المجتمعات البدائية ذات التنظيم القبلي. للمزيد ينظر: سعيد شريدي: (دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال العهد العثماني)، **في مجلة منتدى الأستاذ**، المدرسة العليا للأساتذة، آسيا جبار قسنطينة، جوان 2016م، العدد18، ص:252.

[3] **بن علاهم**: هي عائلة تنسب إلى إحدى العائلات فاس استقرت بمنطقة ورقلة، بطلب من سكان المنطقة بعد تلاشي حكم أسرة ابن غلبون. ينظر: الصالح بن سالم: **الحواضر الصحراوية الجزائرية خلال القرن 11هـ/17م من خلال الرحلة المغربية العياشي أنموذجا**، من كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغاربة، الناشر الجامعي الجديد، تلمسان الجزائر، 2018م ص:123.

«ونزلنا القليعة تصغير لقلعة وهي قرية حصينة على حجر صلد...، وهي من طاعة واركلا وبها عامله وهمته على قدر همته مستعملهِ وقد أخبرني من رآه أنه أسود حافي الرجل عاري الرأس في ملاءة وسخة ومع ذلك يتحاكم إليه أهل قريته ويذعنون لأمره»[1].

كانت ورقلة تابعة للدولة العثمانية ودخلت تحت سلطانها في عهد صالح رايس، وذلك وفق حملة قام بها في 1552م، حيث ألحقت ورقلة بباياليك الشرق على أن تدفع ضريبة سنوية على شكل أموال وثلاثين عبد[2]، حيث ترك صالح رايس عائلة بن علاهم في الحكم مع الولاء الديني والسياسي لدولة العثمانية وهذا ما نلمسه في حديث العياشي في رحلته، حيث حضر صلاة الجمعة ودعا في خطبته لسلطان العثماني محمد بن إبراهيم[3]، ثم لسلطان بلاده مولاي بن علاهم[4]، هذا الأخير الذي وصفه العياشي على أنه رجل ذو أخلاق حسنة فوصفه ببيتين من الشعر:

فإن ولاة الأمـــر فـــي كـــل بلدة كثيـــر ولكن الأمـــير عـــلاهـــم

علاهم علاهم إذا تحـــلو بجماعة من العدل والممدوح رقم حلاهم[5]

رغم أن الأمير مولاي بن علاهم طيب الأخلاق، إلا أنه وقعت في فترة حكمه فتن داخلية وموجة من الاضطراب وقعت قبل مرور العياشي بشهرين [6]، حيث خلت المدينة من الكثير من الناس بسبب الفتنة التي وقعت، وراح ضحيتها أكثر من مائتي شخص، وهذه المؤامرة دبرها أفراد

---

(1) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص: 111.

(2) الأزهاري عباز:**نظام المشيخة في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عاشوري قمعون، جامعة الوادي، 2014/2013م، ص:35.

(3) محمد بن إبراهيم بن مراد: هو الخليفة العثماني الذي حكم من 1648-1687م. ينظر: مولاي بلحميسي: **الجزائر خلال الرحلات المغاربة: المرجع السابق**، ص:84.

(4) مولاي بن علاهم: هو مولاي علاهم من مولاي محمد بن مولاي علاهم ورقلة من 1653 إلى 1682. للمزيد ينظر: الأزهاري عباز: **المرجع السابق**، ص:41.

(5) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:118.

(6) مولاي بلحميسي: (مدينة ورقلة في رحلة العياشي)، **مجلة الأصالة**، مركز الأصالة للدراسات والبحوث، جامعة الجزائر، ع41، 1977م، ص: 63.

حاشية سماهم العياشي ببيضة البلد عصبته[1]، وبفضل مساعدة السواد من الناس من رعيته حافظ على سلطته وفتك بالمتآمرين ضده[2]، حيث تحالف من الأعراب خارج البلدة في قتل الفارين من داخل المدينة حيث يقول العياشي: «... **فقام عليهم بالسيف .... هو ومن معه، قتل منهم مقتلة عظيمة نحو مائتي، ولم يسلم منهم إلا من تسور الجدار، أو لم يلقه الأعراب أو افتدى منهم**»[3].

هذه المقتلة العظيمة التي وقعت اعتبرها العياشي من سقطات هذا الأمير وهفواته، وأسقطت من منزلته عدد الكثير من الناس، وهذا بالرغم من خصاله الحميدة[4]،أورث توثر وصراع بينه وبين أخواله في أولاد جلاب[5]، الذين كانوا قبل ذلك عصبة له وبهم تمكن من البلد[6]، أدى هذا الأمر إلى صراع واحتقان كبير في قرية نقوسة، التي تبعد عن وقلة 20 كلم التي كانت تحت مشيخة آل بية[7]، التابعة لإمارة بني جلاب في تقرت، فالاحتقان والغل الذي يحمله أهل نقوسة لأهل ورقلة كبير

---

(1) المقصود بعصبته: هم ببيضة البلد وعصبتها وهم المغاربة من بقيا الأدراسة وبني مرين والسعديين الذي كانت لهم امتيازات واسعة وعاشوا حياة الترف وجمعوا ثروات ضخمة فشكلوا بذلك قوة مناهضة ومهيمنة على مقاليد الأمور. ينظر: مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص: 412.

(2) سعاد آل سيد الشيخ: (جوانب من الأوضاع السياسية والإقتصادية والثقافية بالجزائر العثمانية من خلال كتابات بعض الرحالين السابقين)، **مجلة التراث**، مخبر جمع دراسة وتحقيق. مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة الجلفة، ديسمبر2018م، ج01، العدد29، ص: 438.

(3) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص:115.

(4) مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص:42.

(5) **أولاد جلاب**: استقروا بمنطقة تقرت خلال القرن 15م، وينحدر أصلهم من المرينيين بالمغرب الأقصى وجدهم الأول الذي حل بمنطقة هو الشيخ أحمد بن جلاب، ودام حكم الإمارة إلى غاية 1854م. ينظر: صالح بن سالم: **المرجع السابق**، ص:124. وللمزيد حول أصل العائلة ينظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني من أهل القرن الحادي عشر هجري، **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1996م، ص:139.مولاي بلحميسي: **مدينة ورقلة في رحلة العياشي**، المرجع السابق، ص: 64.

(6) مولاي بلحميسي: **مدينة ورقلة في رحلة العياشي**، المرجع السابق، ص: 64.

(7) أبو سالم العياشي : **المصدر السابق**، ج1، ص:119.

حتى وصل إلى أن اعتبروه جهاد عندما سأل العياشي هل يحج أحدكم هذا العام؟، قالوا كيف نحج ونترك الجهاد؛ بل حتى أن الأمر وصل إلى عدم ترك الحجاج أن يدخلوا المدينة واتهموهم أنهم متفقون مع مولاي بن علاهم لسيطرة على المدينة، الأمر الذي اعتبره العياشي نوع من السفه وقلة عقولهم، حيث أن نقوسة تابعة لمشيخة بني جلاب، أجازوا قتال أهل ورقلة ودعموا آل بية في ذلك، ولعل الصراع بين مشيخة ورقلة ومن جهة وآل بية مدعومة من أولاد جلاب من جهة أخرى كان سببا الصراع المذهبي [1]، ومحاولة السيطرة وبسط النفوذ وخاصة أن بني جلاب بسطت نفوذها على العديد من القبائل بالقوة وأخضعتها[2]، حيث بقي هذا الصراع إلى غاية 1849م[3].

فمنطقة ورقلة وتقرت وما جاورها كانت تحت نظام المشيخة، التي بدورها كانت تحت الحكم العثماني، وتحت إدارة بايلك الشرق، حيث أن الحملات العسكرية المتتالية مثل صالح رايس 1552م ويوسف باشا 1647م، التي أبقت أهل تقرت وورقلة يدفعون الضريبة دون انقطاع، ولعل الضريبة كانت رمزية في الواقع وغير باهظة تقيهم من حملات العثمانيين التي اعتبروها من جهتهم عربون ولاء وتبعية[4].

ثالثًا: منطقة الزاب (بسكرة):

تعتبر منطقة الزاب وخصوصا بسكرة من أهم المدن الصحراوية الجزائرية في طريق الحج، فهي تعتبر محطة مهمة لركب الحجاج، حيث هي محطة استراحة الركب الحج[5]، فمدينة بسكرة وما جاورها

---

[1] المقصود بالصراع المذهبي بين المذهب الإباضي الذي يتمذهب به أهل ورقلة وتسامح مولاي بن علاهم مع هذا المذهب حيث أنهم عصبته في الحروب بينه وبين المالكية من أهل نقوسة وأهل تقرت وهذا ما نلمسه في إعلان الجهاد على أهل ورقلة باعتبارهم خوارج.

[2] مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص:43.

[3] الأزهاري اعباز: **المرجع السابق**، ص:57.

[4] محمد بن معمر: (علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر)، **مجلة الحضارة الإسلامية**، كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، مج09، ع12، 2005م، ص:21.

[5] ابن الطيب الشرقي: **المصدر السابق**، ص: 99.

من مدن وقرى الزاب كانت تحت الحكم العثماني تابعة إداريا لبايلك الشرق، حيث ضمها حسن آغا في 1542م وسع صالح رايس النفوذ العثماني في الجنوب 1552م، ونصب عليها حامية عثمانية فكانت تابعة عسكريا لسلطة العثمانية[1]، فكثيراً ما تكلم الرحالة عن الأوضاع السياسية في مدينة بسكرة وما جاورها، حيث أن كل رحلات القرن 17 و18م تكلموا على عروس الزيبان فصور لنا مقومات الحياة فيها، حيث ذكروا أنها بلدة طيبة جمعت بيت التل والصحراء[2]، إلا أنها ابتليت بظلم العثمانيين وغارات العرب، أدى هذا إلى خرابها، حيث يقول العياشي: «...**بالجملة فما رأيت في بلاد التي يسكنها شرقا وغربا آمن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها ابتليت بتخلف الترك عليها وعساكر الأعراب، استولى عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة، إلا أن الترك بنو عليها حصنا حصينا على رأي الماء... فاجتمعت عليها غارة العرب من الخارج، وظلم الترك من الداخل، وقد أشرفت على الخراب**»[3]. وهذا ما يصوره أبو العباس الهلالي السجلماسي، حيث يقول: «**وهي أول عمالة الترك أهل الجزائر ولهم فيها أحكام شديدة أضعف أهلها غاية، مع زيادة غارة عرب ذلك مكان فكادت لذلك أن تدخل في خبر كان مع أنها بلدة قل أن تجتمع في بلدة ما اجتمع بها من أسباب العمارة**»[4]، فمنطقة الزاب كانت تابعة في الواقع لسلطة الأعراب فهي الآمر والناهي في هذه المنطقة ومع هذا توجد بعض المناطق في الزاب لا تخضع لا لسلطة الترك ولا لسلطة الأعراب، مثل أولاد جلال، حيث يقول عبد السلام الناصري: «...**ثم مررنا بقرية أولاد جلال وهي من أعظم قرى الزاب... وسكانها يزيدون عن اثني عشر مائة رجل، ولهم مع ذلك قوة وصنعة لا يؤدون لأعراب إتاوة ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة مجاهد**»[5].

---

[1] عبد الحميد صيد: **أبحاث في تاريخ بسكرة والزيبان**، د د ن، 2000م، ص:15.

[2] صالح عبّاد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص:69.

[3] مولاي بلحميسي: **الجزائر خلال الرحالة المغاربة، المرجع السابق**، ص:101.

[4] ابن الطيب: **المصدر السابق**، ص:100. وينظر أيضا: أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص: 540.

[5] أبو عبد السلام الناصري : **المصدر السابق**، ج1، ص:216.

أما عن المناطق الصحراوية الواقعة شمال الصحراء فكانت هي أيضا حالها حال الصحراء الجزائرية، فالتواجد العثماني متدبدب فيها، حيث تعتبر منطقة نفوذ عثماني، بحيث كان العثمانيون يسيرون حملات من أجل إخضاعها، مثل حملة محمد باي الكبير على الأغواط والذي أخضع بها المنطقة وقدمت فروض الطاعة والضريبة، حيث أن هذه القبائل كانت تحترف اللصوصية وأخضعها إلى بايلك الغرب بما فيها ميزاب، حيث اعترفوا بالدولة العثمانية على شمال الصحراء[1].

أما صالح باي فقام بحملة على الصحراء الجزائرية سنة 1788م وحاول الوصول إلى منطقة بني ميزاب والقضاء عليها[2].

أما منطقة عين ماضي فكانت خاضعة لطرق الصوفية المتمثلة في الطريقة التجانية[3]، حيث يقول عبد السلام الناصري: «...**وهي بلدة عامر...من قبيلة بالظهرا تعرف بالتجانية**[4]، والأمر ينطبق على بعض القصور، حيث فيها فراغ سياسي رهيب، تتقاضى في أمورها إلى قاضي محلي وتوجد بعض المناطق لا تخضع للسلطان مثل منطقة العمور التي وصفها الأغواطي أن أهلها لا يحكمهم سلطان[5].

---

[1] ابن الهطال التلمساني: **رحلة محمد باي الكبير إلى باي الغرب الجزائري الجنوب الصحراوي الجزائري**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ص:19.

[2] هجيرة بن عامر: **الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي خلال القرن 12هـ/18م، دراسة مقارنة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فاتح لعمري، جامعة المسيلة، 2018/2017م، ص:53.

[3] **الطريقة التيجانية**: هي طريقة صوفية جزائرية المنشأ، عالمية النفوذ والانتشار، تأسست على يد أحمد التيجاني في عين ماضي. للمزيد ينظر: الشيخ لعرج، فغرور دحو: انتشار الطريقة التيجانية في بيلك الغرب في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، **مجلة الحضارة الإسلامية**، كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، ع29، جوان 2016م، ص:611.

[4] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص:302.

[5] ابن الدين الأغواطي: **المصدر السابق**، ص:89.

نستنتج من خلال هذا المبحث أن الأوضاع السياسية في الصحراء الجزائرية في القرنين 17 و18م كانت تحكمها عدة أنظمة سواءً كانت رسمية ممثلة في نظام المشيخة أو غير رسمية ممثلة في القبائل الكبرى وقطاع الطرق، أما التواجد العثماني في الصحراء الجزائرية فكان متذبذب ويحكمه مظهرين:

1- الولاء المتمثل في الضريبة والدعاء على المنابر وفق نظام المشيخة الشبه مستقل وهذا في الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية؛

2- الحملات العسكرية لإخضاع القبائل السيبة وتحويلها إلى قبائل الرعية، وهذا في شمال الصحراء وبعض مناطق الجنوب الغربي، أما منطقة توت فكانت بين الولاء الروحي والإخضاع بالقوة لكل من الدولة السعدية والدولة العلوية.

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية في الصحراء الجزائرية في القرنين 17 و18 من خلال الرحلات الحجازية.

تزخر الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية بمعلومات كثيرة ومهمة في الجانب الإقتصادي، فقد شغلت الأوضاع الإقتصادية، وخاصة المبادلات التجارية حيزًا كبيرًا في عملية التبادل بين أهل الصحراء الجزائرية، سواءً كان هذا التبادل في الحواضر أو البوادي.

أولاً: القطاع الفلاحي:

كثيرًا ما كان يمر الرحالة على الحواضر الصحراوية فيصور لنا الواقع الفلاحي والإمكانات الفلاحية لكل حاضرة، فالصحراء الجزائرية لها مقومات فلاحية كبيرة، أرض خصبة، ماء تحت الرمال كثير، فالعياشي يعطي صورة متكاملة عن واقع الزراعة وعن الإمكانيات الزراعية في الحواضر الصحراوية، حيث يذكر في منطقة توات أنه يكثر بها التمر وهو أنواع متعددة[1]، والحال لا يختلف

[1] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة**، المرجع السابق، ص69.

عن ورقلة، حيث أن المنتوج الحيواني متوفر أيضًا، حيث يقول العياشي: "...**وصادف دخولنا دخول قافلة من الأعراب (الأرباع) قدمت بسمن كثير وغنم والإبل وزرع**"[1].

أما بسكرة التي تعتبر من أهم الحواضر الصحراوية التي تتوفر على مقومات زراعية كبيرة، فهي كما ذكر العياشي من أعظم المدن التي جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكثان جيد... ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول، وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، حيث أن تمرها من أطيب الثمور[2]، وهو كثير، فلذا نجد عبد السلام الناصري يسميها بسكرة النخيل لكثرة النخيل فيها[3]، فبسكرة كانت مركز راحة واستراحة لحجاج[4]، حيث يذكر الحضيكي أن الركب أقام ثلاثة أيام ببسكرة ووصف كثرة النخيل والأجنة والمزارع المتعددة فيها[5].

أما الحواضر الواقعة بين الأطلس التلي والجنوبي في شقه الغربي، مثل الأغواط، بوسمغون، فتميزت بوفرة المحاصيل وخاصة الشعير، حيث يصور لنا أبو العباس الهلالي السجلماسي هذه الوفرة عن قرية بوسمغون "**وفي البلدة شعير جيد جدًا... ثم ارتحلنا من هنالك غدا وقد نالت دوابنا كثيرة الشعير عيشا رغدا**"[6].

---

(1) مولاي بلحميسي: **مدينة ورقلة من خلال رحلة العياشي**،المرجع السابق، ص62.

(2) عبد الرحمان بلاغ: **الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب**، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 04، جوان2013م، ص511.

(3) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص220.

(4) فاطمة بلهواري: **المرجع السابق**، ص43.

(5) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص86.

(6) أبو العباس الهلالي السجلماسي: **المصدر السابق**، ص166.

أما عين ماضي فتوجد بها مختلف الزروع والكروم، حيث يذكر الحضيكي أن فيها أجنة وتينا وعنبا كثير[1]، ونفس الأمر ينطبق على بوسمغون والقرى المجاورة لها التي تحتوي على فواكه متعددة وخاصة العنب بأنواعه[2].

ثانيًا: الصناعة:

تعتبر المهن والحرف المنتشرة في المدن والحواضر الصحراوية محدودة التنوع، وهذا راجع إلى طبيعة الموارد المتوفرة والإمكانيات البدائية، فهذه المنتجات المحلية كانت توفر احتياجات لقوافل الحجيج المارة بالصحراء[3]، فكثير ما يصور لنا الرحالة بعض الصناعات والحرف التقليدية كالصناعة النسيجية للبرانس[4]، وصناعة البارود الذي يعتبر من أهم الصناعات الرائجة في الصحراء الجزائرية وخاصة في منطقة جبل لعمور[5]، فالمنطقة تتوفر على جبال من الملح والكبريت[6].

وكذلك كانت تُصنع نوع من المدافع اشتهرت بها منطقة أولاد جلال، حيث يقول أبو العباس الهلالي السجلماسي: "...**وخرج أهل أولاد جلال بمدافعهم وقبائلهم موقدة، لأن المدافع في هذه الناحية لا زناد لها وإنما تضرم بنار في فتيلة، لذا يقال لهذا النوع من المدافع بوفتيلة**"[7].

---

(1) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص84.

(2) أحمد بن ناصر: **المصدر السابق**، ص128.

(3) عبد الرحمان بلاغ: **المرجع السابق**، ص511.

(4) فاطمة بلهواري: **المرجع السابق**، ص43.

(5) رشيد مقدم: (منطقة الأغواط من كتابات الرحالة الجغرافية خلال القرن 19)، **المجلة الجزائرية لمخطوطات**، مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مج14، العدد01، ماي 2019م، ص211.

(6) **البارود:** كان يصنع محليا، حيث أن صناعة البارود تتم عن طريق خلط التراب بالزبل ثم طبخ الملح ويضعونه في صحن ويصب الماء فيه ثم يخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من شجرة الدفلة وهذه العناصر تخلط جميعا ثم تترك لتصبح بارودا في غضون أربع ساعات. ينظر: رشيد مقدم: **المرجع نفسه**، ص2011. وينظر أيضا: أبو العباس الهلالي السجلماسي: **المصدر السابق**، ص179.

(7) أبو الهلالي السجلماسي: **المصدر نفسه**، ص207.

ثالثًا: التجارة:

تعتبر الحواضر والمدن الصحراوية مراكز عبور حيوية لمختلف القوافل المارة بالصحراء الجزائرية، هذه الأخيرة كانت عبارة عن سوق مفتوح لتبادل السلع والبضائع من مختلف القوافل ذهابا وإيابا[1] وقد شكلت التجارة لدى القوافل الحجية أهم عنصر لدى الحجاج بعد فرصة الحج، وكثير ما يصور لنا الرحالة المبادلات التجارية والسلع والبضائع المتبادلة بين الركب والأعراب، أو أهل الحواضر، ففي الطريق الجنوبي، يذكر ابن مليح أنه التقى مع الطوارق وتعاطى معهم البيع[2]، أما العياشي فيعطي صورة واضحة عن دور منطقة توات تجاريا، فهي مركز تجاري مهم في الصحراء الجزائرية، حيث مركز انتعاش لتجار القوافل[3]، وهي ملتقى لعدد كبير من القوافل التجارية[4] القادمة من السودان، حيث يقول العياشي عن توات «...**وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من تنبكت. يوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك في كبر... فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل**»[5]، هذا يوحي أن توات كانت من أهم المراكز في الصحراء الكبرى.

أما مركز ورقلة فهو لا يقل أهمية عن توات فمنطقة ورقلة وتقرت هي الأخرى محطة رئيسية لقوافل وملتقى التجار والحجاج القادمين إليها من مختلف الأقاليم سواءً من جهة الجريد أو السودان الغربي[6]، فالمدينة كانت سوقا نشطا، توجد بها مختلف السلع والبضائع فالعياشي يذكر أن سوقها

---

(1) فاطمة بلهواري: **المرجع السابق**، ص43.

(2) ابن مليح: **المصدر السابق**، ص32.

(3) الشيخ الأمين عوض الله: **تجارة القوافل من الغرب والسودان الغربي وأثرها الحضارية من القرن السادس عشر ميلادي**، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984م، ص80.

(4) إيمان تومي، خديجة بوصبع صالح، **تجارة القوافل للجنوب الشرقي الجزائري مع كل من تونس وليبيا أواخر القرن 19 ومنتصف القرن 20**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، إشراف: إمام بريك، جامعة الوادي، 2017/2016م، ص53.

(5) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1،ص79.

(6) مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص90.

مكتظ وبها سلع كثيرة، حيث يقول «**فدخلنا وركلة قبل غروب الشمس ... وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم دخول قافلة من الأعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع واشترى الناس ما احتاجوا إليه بأرخص الأثمان، وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك أو أكثر، فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن، واشترى الحجاج غنما كثيرة حتى كأن تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم**»[1].

وهذا ما يؤكده أبو الهلالي السجلماسي في مدينة النخيلي[2] قرب الأغواط، حيث أنه التقى بأعراب وقالوا له أن القافلة غائبة من أجل جلب الميرة من ورقلة وأن السلع فيها رخيصة جدًا[3].

أما مدينة بسكرة فكانت هي أيضًا حاضرة ومحل إقامة وتسوق الحجاج، حيث أنها محطة تزود وأسعارها رخيصة[4].

أما المناطق الأخرى مثل عين ماضي الأغواط وغيرها من الحواضر الصغيرة فكان الناس هم من يتعرضون لقافلة الحج وتقام بينهم سوق بعيدة عن المدن وذلك خوفا من السرقة والاختلاس، حيث يذكر أبو الطيب الشرقي أن الركب عندما وصل مدينة الأغواط طلب أهلها إقامة السوق من أجل شراء السلع المغربية فجمع الركب وطالبهم بالخروج من المدينة وإقامة السوق خوفا من السرقة والتلصص[5]، وتسمى هذه الأسواق بالأسواق الظرفية.

---

(1) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص114.

(2) **النخيلي**: واحة مهجورة تحتوي على أراضي صالحة لزراعة تابعة لبسمغون، تبعد عن القصر 20 كم، وكانت مكان التقاء الركب الفاسي والسجلماسي في خروجهم لرحلة الحج. ينظر: صالح بوسليم، عمر بن قايد: (الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية)، **مجلة الباحث للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة ورقلة، ع21، ديسمبر 2015، ص: 276.

(3) أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص: 176.

(4) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص:220.

(5) أبو الطيب الشرقي: **المصدر السابق**، ص91.

- السلع والبضائع في الصحراء الجزائرية:

كانت الصحراء الجزائرية سوقا مكتظا بالقوافل التجارية والحجازية التي كانت متنفس الكثير من الرحلات الحجازية، فهي تمدهم بمنتوجات مغربية ويأخذون منتوجات محلية وصناعات يدوية، حيث أن المنتوجات المغربية لقيت رواجا في الصحراء الجزائرية، فالحضيكي ذكر أهم السلع «**العطرية والكحل والشب، والكبريت والمشط، والمرآة والجلود المدبوغة الحمر والصفر والنعال، فإنك تلقى العرب رجالا ونساءً يسألون عن ذلك ومعهم اللحم والخضر والفواكه والسمن واللبن**»[1].

ولعل أهم المنتوجات التي لقيت رواجا بين أوساط الحجاج مادة السمن وهو من مشتقات الحليب، يقدم مع جل الأغذية والوجبات لأنه يقوي الجسم ويساعده على تحمل مشاق السفر خصوصا في فصل الشتاء[2]، فكثيرًا ما تطرق الرحالة إلى السمن فنجده في كثير من الأماكن خاصة في القصور والأسواق مثل ورقلة وبسكرة[3]وبوسمغون، حيث تجلبه الأعراب والرعاة إلى الأسواق ويذر على أصحابه أرباحا طائلة[4]، ومن المنتجات أيضًا الصناعات النسيجية التي كانت متمثل في الأكسية والبرانس، حيث كان الحجاج يشترونها من القصور وخاصة إذا تزامنت الرحلة مع الشتاء[5].

---

[1] الحضيكي: **المصدر السابق**، ص: 81.

[2] محمد الكبير الفقيقي: (الدور الاجتماعي والإقتصادي للقوافل التجارية الحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة)، **مجلة دراسات**، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، ديسمبر 2015، مج04، ع02. ص.:192

[3] محمد الكبير الفقيقي: **حاضرة سمغون** ...، المرجع السابق، ص:308.

[4] محمد الكبير الفقيقي: **الدور الاجتماعي والإقتصادي** ...، المرجع السابق، ص192.

[5] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص79.

رابعًا: المعاملات التجارية والأسعار في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية

شكلت التجارة بين القوافل الحجية المارة بصحراء وسكان الصحراء نوعين من التعاملات في إطار المبادلات، فاختلفت بين كل حاضرة من حواضر الصحراء الجزائرية، فالصحراء هي مركز تجاري بسيط، حيث تعدد أشكال المبادلات بين المقايضة التي تقام بين القوافل الحجية مع أعراب البوادي فأبو العباس الهلالي يذكر المقايضة في مناطق القصور الشمالية من الصحراء الجزائرية، حيث يقول: «...**وقد شهدت بصدق أقوالهم وشاهدة أحوالهم فإنهم يبيعون جلد البقرة بالخبزة... وقد مررنا بهم عجالى ولوقفنا معهم لبيع لربح الناس معهم ... وقد اشترى منهم رجل ناقة بجلود وغنم مدبوغة... وليس عندهم دينار ولا درهم**»[1].

أما الحواضر الصحراوية الكبرى فتتعامل بعملات نقدية، فحاضرة توات كانت مركز مهم في الصحراء الكبرى لصرافة الذهب، حيث يكثر بها وهو رخيس[2]، كما أن سكان توات يتعاملون بعملة الدولة العلوية[3] في بدايتها وهذا لقرب سجلماسة من توات والعملة المتمثلة في المثقال الأربعيني، وهو أربعة وعشرون موزونة[4]. أما حاضرة ورقلة فيتعاملون بعملة محلية حسب ذكر العياشي أنه كثر بها النحاس أربعة وعشرون مقابل ريال[5].

---

[1] أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص177.

[2] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص79.

[3] تعددت العملات في توات بحكم مركزها الإستراتيجي في الصحراء الكبرى، فهذه الأخيرة كانت تعتمد في مبادلاتها التجارية بنظام المقايضة مع أسواق السودان الغربي ومن تم تقوم بمبادلات مع الأسواق الشمالية مثل سجلماسة، مراكش وورقلة وطرابلس، فكانت توات بمثابة حلقة وصل بين الشمال والجنوب فالتعامل بالمثقال الأربعيني لا يعني التبعية الإقتصادية للمغرب ومن تم التبعية السياسية فالصحراء الجزائرية كانت توجد بها العديد من العملات المختلفة سواءً العثمانية أو حتى الإسبانية.

[4] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص79.

[5] **نفسه**، ص118.

والأمر أيضًا ينطبق على تقرت التي يتم التبادل فيها محليا بنقود نحاسية[1] التي كانت تحت حكم بني جلاب حيث وصف العياشي عملة إمارة بني جلاب «**أما داهمهم فقراريط صغيرة اثنان وثلاثون منها ربع** ريال»[2].

كان للحجاج دورًا بارزًا في إدخال الكثير من العملات النقدية في الحواضر الصحراوية وخاصة المغربية التي لاقت رواجا في بعض المناطق من الجزائر والمغرب، وانتقلت إلى أقطار أخرى، فإذا خرجت هذه العملات من هذه الأقطار فتفقد قيمتها ولا تصرف إلا ببخس [3]، أما العملة الإسبانية فإنها كانت نافذة في كل المحطات والطلب عليها كبير لرواجها[4].

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في الصحراء من خلال الرحلات الحجازية في القرنين 1(11-12هـ/ 17-18م)

أعطت الرحالات الحجازية صورة متنوعة عن الحياة الاجتماعية في الصحراء الجزائرية، فكثيرًا ما كان يرصد الرحالة الظواهر الاجتماعية، سواءً كانت هذه الظواهر إيجابية، فيثنون عليها وأخرى سلبية يحذرون منها، وخاصة الظواهر التي تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، فما يميز الرحالة في كتابهم في رصد الظواهر الاجتماعية، فهي منطلقة من خلفية دينية وأخلاقية، حيث أن رصد هذه الظواهر كتبها رحالة متبحرون في العلم، قاموا بأكثر من رحلة، وهذا يعي نوعا من المصداقية في رصد هذه الظواهر.

---

(1) مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص95.

(2) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص122.

(3) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص81.

(4) محمد الكبير الفقيقي: **الدور الاجتماعي والإقتصادي** ...، المرجع السابق، ص193.

أولاً: كرم أهل الصحراء:

يعتبر الكرم من أهم الصفات الحميدة المتأصلة في المجتمع الصحراوي، حيث نقلت لنا الرحلات الحجازية الكثير من صور الكلام في المجتمع الصحراوي، حيث كان يتصف به أهل القرى والمدن الجزائرية يستقبلون الحجاج بالطبول والمزامير[1].

ومن نماذج وصور الكرم التي دأب عليها سكان المدن والقرى الجزائرية في ضيافة ركب الحجيج ووفود الرحمان، يصور لنا الرحالة صور الكرم والضيافة في بعض الحواضر الصحراوية الجزائرية، ففي مدينة ورقلة استضافهم الأمير بن علاهم وأكرمهم وكذلك إمام المسجد، حيث استضافهم على طعام، والأمر ينطبق أيضًا في تماسين، حيث أكرمهم أهلها أيما كرم[2]. أما في طريق العودة من الحج ذكر العياشي أن أهل زريبة حامد ينتظرون قدوم الركب النبوي من أجل استضافتهم وإكرامهم ونيل بركاتهم، حيث يقول العياشي: «**كانوا ينتظرون قدومنا منذ أيام، فلما روا أعلام الركب تخفق جاؤوا باتوا معنا وأضافونا ضيافة حسنة**» [3].

كما كان أهل القنادسة يستقبلون الحجاج الجزائريون والمغاربة العابرين الصحراء الجزائرية، بسباق الخيل وضرب البارود، وإظهار الفرح والسرور[4]، ونفس الانطباع سجله ابن الطيب الشرقي عن طيبة أهل الزاب ومساعدة أهل الركب بعد أن باغتتهم أمواج والوادي في منطقة سيدي خالد فحفظوا لهم المتاع، وأكرموهم ولطفوهم بأحسن الكلام، حيث يقول ابن الطيب: «**وكانت الأمواج عدت على بعض الثياب مؤمنة عند الأعراب ذلك الموضع.... تعرض الأقوام أفوجا أفواجا يبالغون في التهنئة والسلام ويلاطفون وفد الله تعالى بالكلام..**» [5].

---

[1] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص208.

[2] أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية**، المصدر السابق، ج1، ص، ص 116-117.

[3] **نفسه**، ج2، ص538.

[4] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري**، المرجع السابق، ص:208.

[5] ابن الطيب الشرقي: **المصدر السابق**، ص:98.

وفي نفس المكان قرب سيدي خالد ذكر الحضيكي حسن الاستقبال وألعاب الفروسية والبارود، ابتهاجا بقدوم الحجاج، حيث يقول: «**فإذا بأهل بسكرة خرجوا للقاء الركب بالترحيب والتحبيب، ويلعبون بالخيل والبغال في زينتهم**» [1] وكذلك الحال مع الورتلاني في طولقة.

أما في منطقة الأغواط ذكر عبد السلام الدرعي كرم أهلها وحفاوة الاستقبال[2]، حيث استقبلوا الركب صغرا وكبار واظهروا الفرح والسرور والتهنئات والتبريكات لوفود الرحمان[3]. أما جده أحمد بن ناصر، فكثيرًا ما تكلم عن الكرم المتأصل في القصور والبوادي الصحراوية وأعطى الكثير من صور الكرم متمثلة في كثرة ذبح الأغنام على شرف الركب[4].

ثانيًا: ظاهرة اللصوصية في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية

تعتبر اللصوصية ظاهرة اجتماعية انتشرت في بلاد المغاربة[5]، حيث أصبحت هذه الظاهرة بمثابة اللصوصية الحربية، حيث لم تكن الحواضر الصحراوية بدعا من هذه الظاهرة، التي ارتبطت في الصحراء الجزائرية بعاملين، يتمثل الأول في غياب سلطة فعلية وثانيًا الفقر[6]، فإذا تتبعنا ظاهرة اللصوصية في الحواضر الجزائرية فإننا نجدها بكثرة لم يسلم منها ركب الحجيج رغم القدسية والهيبة التي يحملها[7]، كانت هذه الظاهرة تقريبا في كل الحواضر الصحراوية، فقد أوردت الرحلات الكثير من مظاهر السرقة واللصوصية في الصحراء الجزائرية، فقد أورد العياشي حالة الخوف واستنفار الركب من

---

(1) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص:86.

(2) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص:204.

(3) عبد السلام الناصري: **نفسه**، ج2، ص:906.

(4) أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص- ص: 128-130.

(5) حسان رشيد: اللصوصية في إيالة الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 17 و18 قراءة في الصادر المحلية، **مجلة ليكسوس، المغرب**، ع05، أوت 2016م، ص246.

(6) فارس كعوان: ظاهرة اللصوصية وقطع الطريق بمنطقة سطيف من اللصوص السلب والنهب إلى ظهور اللصوص الشرفاء أواخر القرن 19، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة سيدي بلعباس، مج10، ع03، ديسمبر 2019، ص49.

(7) حسان رشيد: **الطرق والقوافل** ...، المرجع السابق، ص48.

غارات الأعراب المفاجئة والاستعداد للحرب ضدهم، حيث أن الركب شمر لقتال ثم تبين أن الخبر لا أصل له[1]، فقد اشتهرت بعض المحطات بهذه الظاهرة، حيث كثيرًا ما وردت في نصوص الرحالة في مدينة بسكرة التي وصفها عبد السلام الدرعي أنها أكثر بلاد الله سرقة واختلاسا، وأعطى نماذج عن ذلك فقد سرق لأصحابه كسكاس على القدر بما به من الطعام في وضح النهار، حتى أنهم لم يقدروا على اللحاق به[2]، بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، حيث أن قطاع الطرق قتلوا حجاج الله في قرية إمليلي وسلبوهم سلعهم ومتاعهم[3].

وكثيرًا ما كان يقع القتال بين الركب والأعراب وخاصة في قرية أولاد جلال، حيث اشتهرت قبائل بظاهرة اللصوصية، خاصة قبيلة أولا عكاز وأولاد نصر[4]، الظاعنتان بين الصحراء والسهوب الشرقية، فقد كانتا تعتديان على الحجاج لغرض سلبهم أموالهم وأملاكهم ورواحلهم[5]، حيث يذكر العياشي أنهم عندما وصلوا إلى أولاد جلال حاول اللصوص اعتراض الركب بثلاثمائة فارس بسبب الجوع الذي يعانون منه، وأخبرهم بعض الأعراب أنهم لا يقدرون مقاومتهم[6]، فاشتد الخوف بين الحجاج واختلفوا في موصلة السير مع الدليل أو الرجوع إلى وادي ريغ فنزلوا عند رأي العياشي لمواصلة السير، لأن الرجوع إلى وادي ريغ فيه مجازفة كبيرة حسب العياشي[7].

---

(1) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص112.

(2) عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، المصدر السابق، ص220.

(3) أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص210.

(4) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص539.

(5) أحمد بوسعيد: **الركب الجزائري في العهد العثماني**، المرجع السابق، ص152.

(6) جلول بن قومار **المرجع السابق**، ص17.

(7) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص545.

أما الحضيكي فيذكر أن وادي الناموس ووادي غسران يستوطنه أعراب مهنتهم اللصوصية وقطع طريق القوافل الحجية[1]، ونفس الأمر نجده في المحطات مثل الأغواط التي اشتهرت بالنهب والسرقة، وكثيرًا ما تحدث الرحالة عن اللصوصية في الأسواق، فاللصوصية كانت ظاهرة عادية وخاصة لدى الأعراب، حيث وصل الأمر أن أهل عين ماضي تركوا زراعة الحبوب لأن اللصوص يسرقون المحصول[2]، بل أكثر من ذلك فهم يسرقون الثياب والطعام، هذا البؤس الشديد وحالة الفوضى وغياب السلطة التي تردع القبائل الممتهنة للصوصية، فملأت هذا القبائل هذا الفراغ السياسي حيث وصل الأمر بقطاع الطرق إلى الشراء والبيع في القوافل الحجية، حيث يقول أبو العباس السجلماسي «**فقد اتخذ أقوام من نهبهم الركب سرقة أموال الحجاج تجارة عظيمة، حتى أنهم على أنهم ما قيل يتداينون عليها كما يتداين الناس على غلاتهم، نسأل الله العافية**»[3].

ثالثًا: المرأة الصحراوية من خلال الرحلات الحجازية

كثيرًا ما تكلم الرحالة عن المرأة الصحراوية في كتب الرحلات، إما تلميحا أو تصريحا، فتطرقوا إلى المرأة في الزواج والطلاق، فالعياشي ذكر الكثير من الظواهر الاجتماعية الخاصة بالمرأة من طلاق وزواج، وذلك في المجتمع التواتي من خلال فقه النوازل[4]، فكثيرا ما تجادل مع علماء توات على قضايا مثل طلاق المرأة من الرجل وسماها بالغرائب، حيث أصبحت من عرف أهل توات وأجازها علمائها[5] حيث يقول: «**إن من عادات أهل بلدهم أنه إذا نشجزت امرأة يطلقها ويأتي بشهود ويشهدهم ويقول أشهدوا أني ما طلقت زوجتي إلا لكي أكسر شوكتها لكي تراجع خطأها**

---

(1) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص86.

(2) أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص180.

(3) **نفسه**، ص171.

(4) **فقه النوازل**: هي تلك المسائل الوقائع المستجدة التي لا يوجد لها حكم شرعي مباشر أو اجتهاد فقهي مباشر، فهذه الوقائع تحتاج إلى حكم شرعي، سواءً كانت هذه الحوادث متكررة أو نادرة الحدوث. ينظر: عبد العزيز وصفي: فقه النوازل عند الفقهاء المالكية، **مجلة شهاب**، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، مج4، ع4، ديسمبر 2018م، ص:236.

(5) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ص، ص:84-85.

فيطلق إشاعة عند الناس أنه طلقها، ويستحضر شهادة فيها شهود تدل على أنها لم تطلق، فعندما تريد الزواج من أي شخص يقوم بإظهار الشهادة ويفسد عليها ذلك الزواج»[1]، وهذا من الغرائب حتى أن الحكام يحكمون بذلك انطلاقا من فتوى علماء واعتمادا على مذاهب في باب الطلاق[2].

أما عبد السلام الدرعي في مروره بحاضرة بسكرة سُئل عن نوازل المنطقة فكان من بينها عقد النكاح المرأة وعن ميراثها[3]، وتكلم أيضا عن قبيلة أولاد داود وعن العقود الفاسدة في النكاح التي لا تمت بتعاليم الدين الإسلامي بأي صلة، حيث أن هذه القبيلة لا تعقد النكاح بل تبادل النساء بالنساء ويعطى الفارق لأحد المتبادلين، حيث أنه يصور لنا المرأة على أنها سلعة تحت لفظ "**اشري تربح**" [4]

أما حال المرأة في القصور الشمالية فكانت أكثر حرية من كل مناطق الصحراوية الأخرى تتسوق بحرية مع القوافل الحجية، فكثيرًا ما حذر الرحالة من النساء العرب، فالحضيكي يعطي وصية لكل الحجاج الذين يمرون على الحواضر الصحراوية حيث يقول: «...**وأذكر ما خرجت إليه، وما أنت في قبضته ولا تعصيه، فإن نساء العرب لا حياء في وجوههم، وإذا خرجن للقاء الحجاج تبرجن بزينتهن ويفرحن بلقائهم ولا يبالين**»[5]، اشتهرت من بين هذه الحواضر عين ماضي، بحيث أن الرحالة تكلموا عن النساء بنفس الانطباع، ووصفوهم بأوصاف ذميمة، فعبد السلام الناصري يذكر أن نساء عين ماضي لا يغتسلن من الجنابة ولا الحيض أو النفاس، ويزعمن أن الاغتسال يؤدي

---

(1) نجاة مغربي: **المرجع السابق**، ص:65.

(2) في باب أنواع الطلاق وشروطه حيث أجمع السلمون على أن الطلاق يقع إذا كان بنية وبلفظ صريح واختلفوا هل يقع بالنية مع اللفظ الذي ليس بصريح، أو النية دون اللفظ، أو اللفظ دون النية للمزيد ينظر: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تح: محمد علي بيضون، ج2، ط10، بيروت، لبنان، 1988م، ص:74.

(3) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج2، ص:899.

(4) **نفسه**، ج1، ص220.

(5) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص81.

إلى عقمهن، وأما في قضية الحجاب فقول "**فما رأينا في هذه البلاد متلهن في تركه، فترى الرجل وزوجته وابنته تسوقون الركب باديات مزينات**" [1]، وهي نفس الصورة والانطباع سجله الحضيكي وذكر مع ذلك يزعمون أنهم ينتسبون إلى النسب الشريف [2] أما جمالهم فتغني به كثير من الرحالة ودموا التبرج والسفور وعدم الاغتسال [3] فكثيرًا ما سألوا الرحالة في بحكم منزلتهم العلمية عن حكم نازلة الاغتسال، فمثلا سئل ابن الطيب الشرقي عن اغتسال النساء فأجاز للحوامل والعذارى، وهذا لضرورة القصوى[4]. أما أحمد بن ناصر الدرعي لم يعطهم لهم الرخصة لأنه أخبره أصحابه أنهم رأوا النساء يغسلون الصوف في الساقية وبماء بارد[5]، فالمرأة في الحواضر الصحراوية تباين دورها من حاضرة إلى حاضرة فالمرأة كان لها دور كبير في الحياة في الصحراء الجزائرية.

رابعًا: الأوضاع الصحية في الصحراء الجزائرية

أجمعت الكتابات التاريخية أن الجزائر شهدت تدهور إقتصادي طيلة النصف الثاني من القرن (17م) والقرن الثامن عشر (18م) أدى هذا التدهور الإقتصادي إلى تكاثر الأوبئة الفتاكة مما أثر سلبا على الحياة الصحية والمعاشية[6]، فكثير ما صور لنا الرحالة الحياة المزرية في الصحراء الجزائرية من خلال المشاهدات التي لاحظوها، فنجد الهلالي يصور لنا بؤس الحياة وأن الناس يقتاتون على البلوط[7].

---

[1] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص205.

[2] الحضيكي: **المصدر السابق**، ص84.

[3] الصورة التي نقلها الرحالة المغاربة عن عين ماضي تلمس نوع من الواقع بحيث تسيء الافتراءات الرحالة علماء مسلمون كانوا يلحظون الظواهر السلبية التي تنافي الدين الإسلامي.

[4] ابن الطيب الشرقي: **المصدر السابق**، ص90.

[5] أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص131.

[6] بن جبور محمد: (الوضع الصحي بالجزائر في أواخر العهد العثماني)، **المجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية**، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، جامعة سيدي بلعباس، مج5، ع2، 2018م، ص20.

[7] أبو العباس السجلماسي: **المصدر السابق**، ص174.

أما عبد السلام الناصري فكثيرًا ما يمر على الحواضر الصحراوية، فيُسئل أسئلة يستنتج منها مدى الجوع والقحط الذي وصلت إليه بعض الحواضر مثل بيع الحبس زمن المسغبة [1]

فالصحراء الجزائرية عرفت في القرن 17 العديد من الأمراض والأوبئة، حيث زودتنا رحلة العياشي بمعلومات هامة عن الطاعون الذي ضرب الجزائر ووصل إلى بسكرة من قسنطينة 1660،[2] حيث أن العياشي ذكر تعرض بسكرة إلى الوباء قبل مجيئه بعامين، أدى هذا الوباء إلى قتل ألاف من الناس في بسكرة قدرها العياشي نحو سبعين ألف شخص[3] ، كان منهم الكثير من العلماء والفضلاء، حيث يقول: «...**وكان الوباء مفرطا مات في بسكرة على ما قيل سبعين ألف نفس، وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خالية، ومساجدها داثرة**»[4]، فالوباء كان له وقع كبير، وقتل من الناس الكثير حتى صور لنا الورثلاني أنه لم يبقى في بسكرة إلا شرار الخلق[5].

فالطاعون لم يضرب بسكرة فقط بل ضرب الحواضر الصحراوية وهذا ما يؤكده العياشي عند نزوله في زريبة حامد وإلى مدينة الأغواط التي وجدها الركب في غاية الاحتراز من الركب بعد أن شاع أنه يحمل الوباء القاتل وخاصة أنه مات بالوباء رجل من سجلماسة[6]، فقام أهل الأغواط بتشديد

---

[1] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج2، ص903.

[2] مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص57.

[3] نرجح ونعتقد أن رقم سبعين ألف رقم مبالغ فيه لأن حاضرة بسكرة والصحراء لم تكن فيها كثافة سكانية كبيرة في تلك الفترة فالرقم كبير حتى على بعض المدن الساحلية فما بالك بمدينة في الصحراء، حيث يذكر مارمول كاربخال عند مروره بتقرت أنه يوجد بها 1500 منزل، وأن بسكرة سكانها قليلون، ينظر: مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تح: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، المغرب، ج3، 1989، ص ص 165، 168.

[4] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص540

[5] الورثلاني: **المصدر السابق**، ج1، ص200.

[6] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثمانية**، المرجع السابق، ص106.

الحراسة على المدينة ومراقبة الوافدين عليها وعدم السماح الدخول إلى الأغواط بعدما أخبروا الأعراب أن الركب فيه الوباء فتم البيع وفق إجراءات احترازية[1].

حيث يقول العياشي: «**ونزلنا الأغواط قبل الظهر يوم الأحد وكان في الركب أعراب سعاة من دمك، يتكففون الناس، فقالوا لأهل البلد في الركب وباء، فلم يتركوا أحد يدخل إليهم ووجدنا الغلاء كثير، وعندهم مقدار مدين فاسيين بريال قمح فلم يخرج أحد مهم إلى الركب، وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسيل**»[2]. أدى الطاعون إلى أزمة اجتماعية ومعاشية في الحواضر الصحراوية التي أدت بدورها إلى اختلالات سياسية وثقافية وإقتصادية لازمت الحواضر الصحراوية لمدة طويلة من الزمن، وخاصة المجاعات التي أدت إلى ظهور قبائل مهمتها اللصوصية فأصبحت الصحراء يحكمها قانون الغاب البقاء للأقوى.

المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/ 17- 18م)

تعد الجوانب الثقافية من أهم الجوانب التي ترتكز عليها الرحلات الحجازية، فرحلة الحج فرصة للاحتكاك بالكثير من العلماء والصلحاء، فالرحالة كانت رحلاتهم روحية، صوفية وعلمية، حيث رصدت لنا العديد من الظواهر الثقافية في الظواهر الصحراوية التي شدت انتباههم واستدعى التعليق عليها فحاولنا أن نحصر في هذا المبحث جوانب وملامح نحاول من خلالها رسم الخارطة الثقافية في الحواضر الصحراوية الجزائرية.

---

[1] مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص59.

[2] أبو سالم العياسي: **المصدر السابق**، ج2، ص546.

أولاً: التعليم واللغة العربية في الحواضر:

يعتبر الرحالة رجال دين وعلماء وشعراء، متبحرين في البلاغة واللغة العربية، لذلك فهم مهتمون بالجوانب التعليمية والظواهر الدينية المتعلقة بالتعليم الديني والعلوم المنتشرة في الصحراء الجزائرية، وحتى الكتب التي تدرس في الحواضر الصحراوية، فكثيرا ما تأسف الرحالة عن الجمود الفكري والديني في الحواضر الصحراوية[1]، وأن الجهل هو الذي أصبح مسيطر على حياة الناس في بعض الحواضر، حيث يقول أبو العباس الهلالي السجلماسي عن بعض القصور الشمالية «**فإن العلم فيها ركد ريحه، والجهل لا يؤاسي جريحه، بل قد أصبح الجهل في الأمصار طامي العباب**»[2]. وهو نفس الانطباع سجله الورثلاني في بسكرة، حيث تأسف وتحصر على واقع العلم والتدين في هذه الحاضرة، حيث قال: «**ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد يقرأ لوحته ملقي أمامه، يقرأ من غير أدب ولا استقامة، وأخبرني بعض أصحابها أنه يوجد رجل واحد يسرد البخاري وحده**»[3].

أما العياشي فيعطينا صورة عن الأئمة، وركاكة لغتهم وقلة علمهم وجهلهم بالتاريخ واللغة والبلاغة، حيث يقول عن خطبة الجمعة في مدينة ورقلة «...**وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة...**»[4].

بالرغم من الصور السوداء لحالة التعليم في الحواضر الصحراوية، إلا أن بعض الحواضر اشتهرت كمراكز تعليمية محلية، تدرس العديد من الكتب مثل عين ماضي، حيث ذكر أحمد الناصري أن أهلها منشغلون في دراسة الفقه صغار وكبار[5]. وهو نفس الانطباع الذي سجله الهلالي

---

(1) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج2، ص903.

(2) أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص182.

(3) الورثلاني: **المصدر السابق**، ج1، ص211.

(4) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص144.

(5) أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص131.

السجلماسي حينما سأل شخص من عين ماضي عن طلبتها فأجابه أنه يوجد بها الكثير والفقهاء كذلك وأن الكثير منهم يحفظون القرآن ويقرؤون مختصر خليل ورسالته ابن أبي زيد[1].

أما في قرية أولاد جلال ذكر العياشي أنه توجد فيها مدرسة لطلبة العلم[2]، وفيها الكثير من الكتب اطلع عليها عبد السلام الناصري[3]، فالكتب كانت منتشرة في بعض الحواضر وتحتوي على نفائس الكتب مثل توات وورقلة، فالعياشي تعجب من كتب في قرية ولا، لم يجدها حتى في حواضر كبيرة واستغرب وصولها إلى المنطقة[4]، فالمخطوطات والكتب والمكتبات كانت منتشرة في الحواضر الصحراوية لكن المشتغلين بالعلوم قليل لأن البيئة الصحراوية في تلك الفترة لا تشجع على الاشتغال بعلم، وكذا بحكم الفقر الذي كان مستشري معظم الحواضر.

ثانيًا: العلماء والصلحاء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية

بالرغم من الصورة السوداوية التي رسمها الرحالة عن حالة العلم والتعليم في الحواضر الصحراوية فهذا لا يعني عدم وجود علماء وفقهاء وصلحاء في الحواضر الصحراوية، فالرحلات ذكرت العديد من الشخصيات المهمة، لم نستطع أن نذكرهم لكثرتهم خلال القرن 17-18 فاخترنا نماذج من الصلحاء والعلماء الذين كان لهم صيت كبير في الحواضر الصحراوية، فالعياشي يذكر لنا أنه التقى بالعديد من الصلحاء والعلماء ففي منطقة الدغامشة التقى بعبد الله بن طمطم[5] الذي ذهب الكثير

---

(1) أبو العباس الهلالي: **المصدر السابق**، ص182.

(2) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص545.

(3) عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص217.

(4) مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة**، المرجع السابق، ص75.

(5) عبد الله بن طمطم: هو عبد الله بن طمطم الدغامشي، المكنى بأبي محمد، هو عالم شهير، قطب الحقيقة وإمامها، ظهر عليه الخير والصلاح ما لا يعد ولا يحصى، حارب أهل الظلم، توفي (1094هـ1682م). ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع النظمي: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991ص422.

لتبرك به وهو من أهل الخير والصلاح وتوتر عليه كرامات كثيرة[1]، ومن جملة من التقى معهم أيضا محمد بن إسماعيل الذي ذكر العياشي أنه التقى به في فقيق عام (1063هـ/1652م)، وحكى له قصة حياته، سماه العياشي أعجوبة زمانه، فكتبه حوالي ألف وخمسمائة تأليف، وهي من أنفس الكتب جلبها من كل أقطار العالم الإسلامي وخاصة من اسطنبول وبقيت أغلبها في منطقة توات فالرجل كان له صيت كبير في العالم الإسلامي، فكان رجل غني ذو علم يتطلع ليكون سلطان ولم يكتب له ذلك[2] وكان ينتحل السمياء والكمياء [3]

كما التقى بالشيخ الصالح الأبر سيدي أبي حفص، الذي أثنى العياشي على حسن تنسكه وحب لفعل الخيرات، وذكر أنه التقى معه في الحجتين الأولى (1059هـ/1649م) والثانية (1065هـ/1654م)، حيث زار العديد من المزارات لتبرك بها لما تؤثر له من كرامات[4]، وله صيت كبير في الصحراء الجزائرية وحتى الأمراء يحترمونه ويتبركون به فكثيرًا ما كان يذهب إلى الحج مع أولاده ونساءه [5]

---

[1] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة**، المرجع السابق، ص70.

[2] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص108.

[3] **السمياء والكمياء**: هو نوع من السحر أو قسم منه أو من توابع صناعة السحر وهو حاصلة إحداث متلثات خيالية لا وجود لها في الحسن، وقد يطلق على إيجاد تلك المثلثات على صورها الحسنة، ويأتي ذلك من تركيب بعض الخواص مع استخدام بعض العبارات والكلمات الخاصة التي يمكن أن تتسبب في تأثيرات معينة. للمزيد ينظر: أحمد علي محمد: المفهوم اللغوي والإصطلاحي للسيمياء العربية، **مجلة** العميد، جامعة بغداد، ع07، 2013م، ص252.

[4] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة**، المرجع السابق، ص80.

[5] تذكر الرواية الشفوية في المنطقة أن سيد الحاج بوحفص حج 33 مرة وزار قبر أبيه 33 مرة فالظاهر أن كان يتردد كثيرًا على الحج على حسب قول العياشي.

ومن العلماء الفضلاء أيضًا الذين التقى بهم العياشي الشيخ محمد بن عبد الكريم التواتي[1] التمنطيطي، وقد التقى به العياشي في تقرت، حيث أثنى على هذا الأخير ووصفه بدمث الأخلاق وطيب الأعراق، وأن وله باع في الفقه والنحو وخبرة بعلم العروض[2]، وتباحثا في المسائل الفقهية فقد أشار العياشي أنه درس عنه منظومة الشيخ ابن أبي الفرج الإشبيلي وأعطاه العياشي الكراسة التي جمعت معاني لو الشرطية التي سماها "الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"[3].

أما الرحالة عبد السلام الناصري ذكر جمله من العلماء والمتصوفة الذين التقى بهم وأعطاهم السند الناصري، وعلماء آخرين تدارس معهم، وعلى رأسهم الشيخ أحمد التجاني الذي إلتقاه في قرية بوسمغون، حيث تدارسا الكثير من المسائل الفقهية حول تدريس العلم في ذلك الزمان، ورد الناصري حول هذه المسألة وكعادة أقطاب التصوف وأربابه فكان من طبيعي أن يناظرا في مسألة سيدنا موسى والخضر أيهما أكبر منزلة وعلما، فمال رأي التجاني إلى أن الخضر هو أعظم منزلة وعلما، وهذا رأي أغلب أقطاب التصوف، أما أن موسى هو أعظم منزلة فهو الرأي الذي مال إليه الناصري[4]. كما التقى في مدينة الأغواط سيدي إسماعيل ابن عبد الرحمان الفكيكي الأصل الاغواطي الدار الذي زاره وفد الركب ذهابا وإيابا وأكرمهم وأخبرهم عن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم[5].

---

[1] **محمد بن عبد الكريم التواتي**: هو القاضي محمد بن عبد الكريم بن احمد بن أبي محمد التواتي، ولد في تمنطيط في بيت علم وصلاح، وأخذ العلم عن والده، ذهب إلى الحج، زار أماكن عديدة رجع إلى موطن، تولى القضاء، توفي 19هـ/1681م. للمزيد ينظر: زهير قزان: **المرجع السابق**، ص42.

[2] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص120.

[3] مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص 72.

[4] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص194.

[5] عمر بن قايد: **منطقة الأغواط وما جورها...**، المرجع السابق، ص213.

ثالثًا:الأضرحة والمزارات في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (17-18م)

تعد زيارة الأضرحة عادة متوارثة لا يعرف بالضبط تاريخ ظهورها في الجزائر وفي الصحراء الجزائرية، ولكن المؤكد هو أن إنتشار الأضرحة في كافة الحواضر الصحراوية، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من ضريح أو قبة أو أكثر[1].

سجل لنا الرحالة عدد كبير وضخما من الأضرحة والمزارات في الصحراء الجزائرية، حيث كثيرًا ما نزلت وحطت الركائب الحجيج لزيارة بعض الأضرحة لنيل البركة، حيث أعطونا مادة علمية غزيرة حول الزيارات والأضرحة وترجموا لبعض الصلحاء الأحياء والأموات[2] والحواضر الصحراوية كانت منازل الصالحين وأثارهم حيث يقول ابن مليح:

منازل سادات ومثـوى أئمة عــزيــز علــيــا تلافــي لهم مثلا

تلقاهم الرحمان بالفضل والمن وحيتهم الأملاك أهلا بكم سهلا[3]

فرحلة العياشي تحمل في طياتها الكثير من المزارات والأضرحة التي زارها، ففي منطقة توات زار قبر الولي الصالح "سيدي محمد بن موسى المعروف بالشيخ عريان الرأس"[4]، أما في قرية ولا فها ضريح سيدي محمد موسى، رغم أن القرية فارغة من السكان إلا أن العرب يحترمون النزل به ويأتون بصدقاتهم إليها ونفس الأمر في المنيعة زار مزارات تعود لشيخ سيد الحاج بحوص الذي ذكر أنه إلتقاه من قبل موته عندما رجع في حجته الثالثة وجد له أضرحة في واد تغير في مدينة المنيعة، وهذه المزارات

---

[1] نفيس دويدة: (المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية)، **مجلة إنسانيات**، مركز البحث في الدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، عدد68، أفريل 2015، ص16.

[2] عمر بن قايد، صالح بوسليم: الأضرحة والمزارات...، المرجع السابق، ص269.

[3] ابن مليح: **المصدر السابق**، ص64.

[4] **عريان الراس**: هو الولي المكاشف صاحب الكرامات الفقيه محمد بن موسى عريان الراس، كان رحمه الله من عبد الله الصالحين توفي في العام الرابع والعشرين والألف رحمه الله تعالى. ينظر: عبد الله الطالب: **المصدر السابق**، ص110.

في طريق ذهابه إلى الحج[1]. أما في طريق رجوعه من الحج فالطريق العرضاني الأوسط فهو يعج بأضرحة ومزارات على طول مسلكه في الصحراء الجزائرية، فالرحالة لهم خلفية صوفية تسليمية لصالحين فهم يكنون للأولياء احتراما كبيرًا، فيعظمونهم ويلحون على ضرورة زيارتهم فالعياشي ينصح الحجاج ويحثهم على زيارة الأولياء، حيث يقول: «**لا تقصروا إخواني في خدمة الصالحين وزيارتهم وملاقاتهم فإن لذلك أثر عجيب في تليين القلوب وتسخير النفوس**»[2]. ومن الأضرحة التي كان يزورها الرحالة هو قبر التابعي عقبة بن نافع الفهري من أجل نيل البركة[3]، وأخذ العهد والأمان من الصومعة والمسجد عقبة بن نافع وكتابة اسمه في المسجد من أجل نيل التواب والبركة[4]، حيث كان الناس يقصدونه من كل الأماكن[5]، فالورتلاني يذكر أنه دخل لزيارة قبره مع جملة وافرة من أصحابه[6].

ومن الأضرحة التي كانت تزار من قبل الرحالة في منطقة الزاب قبر عبد الرحمان الأخضري[7] الذي كان محط لرحالة فتكلموا على مؤلفاته الكثيرة ولعل أشهرها مقدمة في المنطق المسماة السلم المرونق[1]، حيث ذكر الورتلاني أن الناس عكفوا على دراستها شرقا وغربا[2].

---

(1) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج1، ص112.

(2) خالد التوزاني: (الأمن الروحي في الرحلات الصوفية المغربية)، **مجلة تاريخ العلوم**، جامعة فاس، المملكة المغربية، ع04، جوان 2016م، ص20.

(3) الورتلاني: **المصدر السابق**، ج1، ص232.

(4) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص36.

(5) مريم دهيمي: **المرجع السابق**، ص76.

(6) الورتلاني: **المصدر السابق**، ج1، ص232.

(7) **عبد الرحمان الأخضري**: هو عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الاخضري، ولد في قرية بطنيوس نواحي بسكرة ولد في بيت علمي، له عدة تآليفات في المنطق والتصوف والفقه، تشير بعض الدراسات المترجمة لحياة الأخضري أنه عاش 33 سنة من 1415-1546. للمزيد حول تخصص الأخضري ينظرك حنيفي هلايلي: **صورة التصوف السني في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال سيرة عبد الرحمان الأخضري، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص230.

أما العياشي فذكر أنه عند رجوعه من الحج سنة 1663 دخل زاوية عبد الرحمان الأخضري وصلى بمسجده، وقال أنه إمام جمع بين علم الظاهر والباطن، وذكر بعض مؤلفاته وأثنى عليه وعلى عائلته وقال أنهم أهل علم وصلاح[3]، كما زاره أيضا الحضيكي تبرك بقبره[4].

ومن الأضرحة الشهيرة التي كانت تقصدها الأركاب الحجيج والناس من كل أنحاء إفريقية قبر المنسوب إلى النبي المزعوم أنه أرسل إلى منطقة الزاب، خالد بن سنان العبسي، فالورتلاني يذكر أنه رسول أرسل إلى الأوراس وكانت معجزته النار[5]، أما العياشي فيذكر أنه اشتهر عند الخاص والعام والبدو والحضر والناس يؤثرون عنه كرامات[6]، حيث يزعمون أن الشيخ عبد الرحمان الأخضري كشف عنه بعلم التربيع[7] والكشف، وآية ذلك أنه شاهد نورا صاعدا من تلك الرقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها وأخبره أنه قبر خالد بن سنان، فالعياشي يذكر أنه أُشكل عليه أمر ولم يجد له تقيدا في التاريخ[8]، ويبعد كل البعد أن يكون خالد بن سنان المدفون في هذا المكان، فالأخبار المنقولة في شأنه والمذكورة في كتب أهل السير تأبى ذلك، حيث وردت بعض الأحاديث على أن

---

(1) **السلم المرونق**: من أشهر الكتب التي ألفها الشيخ عبد الوهاب الأخضري وهي عبارة عن 143 بيت تعرف في علم المنطق لاقت هذه القصيدة القبول وانتشت شرقا وغربا، وترجمة إلى الفرنسية. للمزيد حول الموضوع ينظر: عمار طالبي: عبد الرحمان الأخضري حياته وأعمال، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع2، قسنطينة، ماي 1987م، ص130.

(2) الورتلاني: المصدر السابق، ج1، ص201.

(3) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص542.

(4) مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، **المرجع السابق**، ص103.

(5) الوتلاني: **المصدر السابق**، ج1، ص201.

(6) الحضيكي: **المصدر السابق**، ص85.

(7) **علم التربيع**: ليس علم على وجه الحقيقة وإنما هو فن غريب يدعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته ويدخل في فنون التنجيم والكهنة الشاملة لأحكام النجوم وأسرار الحروف أي السمياء وخط الرمل وغيره من الفنون التي لا تستند إلى برهان ولا يسعى أصحابه إلى إيجاد دليل يستوعبه العقل. ينظر: بوزياني الراجي: **عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، دار الأمل للدراسات، ط2، الجزائر، 2009م، ص389.

(8) أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ج2، ص542.

خالد بن سنان هو نبي من العرب[1]، بعث بين عيسى – عليه السلام- وبين نبينا – عليه الصلاة والسلام- في أرض الحجاز وأنه أوصى أبناءه أن يدفنوه بها، فكيف يُعقل أن يكون مدفونا في الزاب، فالمسافة بين الزاب والحجاز كبيرة، لكن ذكر بعض المتصوفة أن بلاد الزاب هي بلاد الرس [2] التي تذكر بعض المصادر أنه بعث إليها، فالرحالة في غالب هم متصوفة تستهويهم الخرفات ولهم عقيدة تسليمية فكل الرحالة بعد العياشي نقلو قوله في قصة خالد بن سنان مثل: عبد السلام الناصري الذي مال إلى الرأي أنه مدفون في هذه البقعة[3]، لكن المصادر تجمع أنه دفن بين قومه في بني عبس، بل تم رواية عن ابن عباس أن ابنته جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهي عجوز وأمنت به وذكرت له أنها بنت خالد بن سنان، فقال ذلك نبي ضيعه قومه، فالظاهر أن خالد بن سنان العبسي مات ودفن بالحجاز فقد يكون صاحب القبر خالد آخر، ولربما يكون خالد بن يزيد العبسي الذي تبنته الكاهنة وآخت بينه وبين ابنيها، فخالد كان متواجد في الأوراس[4] وبسكرة فما يمنع أن يكون قد استشهد في المنطقة وقبره متواجد فيها [5] والله اعلم.

---

[1] تتبعنا كل الأحاديث الواردة بشأن نبوة خالد بن سنان وجدناها إما ضعيفة السند أو مرسلة فهي لا تصلح وتناقض الحديث المتفق على صحته الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أولى الناس بابن مريم الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبي». للمزيد حول الموضوع ينظر: عبد المؤمن عزوق: (الأحاديث الواردة في نوى خالد بن سنان العبسي جمعا ودراسة)، **مجلة المعيار**، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع48، 2019/09م، ص51.

[2] أبو سالم العياشي: **المصدر السابق** ، ج2، ص542.

[3] اعتمد الرحالة في تصديق نبوة خالد بن سنان العبسي على قصيدة منسوبة لعبد الرحمان الأخضري تقر على نبوة خالد بن سنان أنه مدفون في الزاب، حيث أصبح من العادة أن يقف الرحالة على القبر ونشدو الأشعار ونهج خلفهم الشعراء، حيث أكثروا الخرافات والبدع في قصائدهم حيث شجع ذيوعها رجال الطرق الصوفية ومصالحهم الشخصية. ينظر: نور الدين مزوع: (الرواية الشعرية في الشعر الصوفي عند فحول شعراء مدينة سيدي خالد)، **مجلة أبحاث**، المركز الجامعي لمغنية ، ع04، ديسمبر 2019، ص182.

[4] قصة خالد بن يزيد العبسي وعلاقته بالكاهنة وأولادها تطرق لها أحمد بن ناصر الدرعي. ينظر: أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص157.

[5] بوزيدي الدراجي: المرجع السابق، ص49.

ومن المزارات الشهيرة في الصحراء الجزائرية أيضًا التي تطرق إليها الرحالة وكانت ملتقى تجمع الركب الفاسي السجلماسي المتمثلة في خلوة ميسرة قرب المخيلي [1]، فالمنطقة كانت بمثابة محج لكثير من الناس من كل الأنحاء وخاصة من أهل البادية[2]، فالمكان كان مأوى للأولياء والزيارات، فالناس والسياح يقدسون المكان كثيرًا ويتخلل تلك الزيارات الكثير من الطقوس الدينية والمظاهر الصوفية المنحرفة[3]، فالمكان تقام به وعدة، بحيث يقوم الناس بحمل الصدقات إليها، فأحدثوا فيه منكرات وطقوس وخرافات لا تمت إلى الدين الإسلامي ولا إلى التصوف السني بأية صلة.

فالرحالة عبد السلام الناصري وقف على البعد والتيه الذي كانوا فيه غارقين ووجدهم يطوفون حول المسجد سبع مرات فسألهم عن ذلك فأخبروه أن الكعبة إذا خربت آخر الزمان فإن الحج ينتقل إليهم، والعجيب في الأمر أنه يوجد تأليف مشروحا حول هذا الانتقاد، والقرب من المسجد كركورا[4] مكون من الصخور يزعمون أن النبي – عليه الصلاة والسلام – جلس عليه، وبالقرب من الكركورا موضع يقال له صلاح الرحمة وهو حسب زعمهم مقام لسيدنا إبراهيم – عليه السلام– ومن دخله كان آمنا، وأن عبد الله بن جعفر وعلي بن أبي طالب قاتلا الروم بهذه المنطقة بحيث قاتلت معهم الملائكة، بالإضافة لوجود سدرة يعتقدون أن الصحابة ربطوا خيولهم بها وبالقرب منها توجد عين ماؤها بارد، يعتقدون أن أصلها ماء زمزم، فعبد السلام الناصري تعجب من عدم إنكار أبو سالم العياشي للمكان وسماه مجمع الأولياء[5]، أما جده أحمد بن محمد الناصري الدرعي ذكر أن أهل عين ماضي ينكرون زيارة المكان انطلاقا من أن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاث مساجد

---

[1] عمر بن قايد: **منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة عبد السلام الناصري...**، المرجع السابق، ص106.

[2] أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص132.

[3] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص200.

[4] الكركور يقصد به مقعد من الحجر يجلس عليه الناس. ينظر: عمر بن قايد: المرجع السابق، ص222.

[5] عبد السلام الناصري: **المصدر السابق**، ج1، ص200.

وأن المكان ليس منها، فذكر أنه تكلم معهم حول المعتمد الذي يستندون في قولهم فلم يجيبوه إلا ما ذكروا فهم ينكرون الزيارة لكن أحمد الناصري دخل وصلى في المسجد بنية التبرك[1].

يمكن القول أن الأضرحة والمزارات كانت منتشرة في الحواضر الصحراوية وهذا راجع لتأثير الصوفي فيها، والسيطرة المرابطية في الحياة الثقافية والاجتماعية، أدت هذه السيطرة إلى الركون للبدع والخرافات التي أصبحت تتحكم في المجتمع الصحراوية

نستخلص من هذا الفصل:

- تباينت الأوضاع في الصحراء الجزائرية بين سياسية وإقتصادية واجتماعية وثقافية وهذا التباين بدوره نجده من حاضرة إلى حاضرة في الأوضاع السياسية؛
- شهدت الصحراء العديد من أنظمة الحكم سواءً كانت نظامية مثل التبعية للعثمانيين في الجزائر المتمثلة في: ورقلة، تقرت، الأغواط وبني ميزاب، وهذا في إطار الحملات، أو التواجد العسكري السعدي والعلوي بالنسبة لحاضرة توات، أما بعض المناطق فخضعت لحكام محليين لا تخضع لأي سلطة كانت مثل بعض المناطق في الساورة وبعض المناطق في جبال لعمور، حيث أخذت هذه المناطق تسمية أرض السيبة؛
- وتحتوي الصحراء الجزائرية على مقومات إقتصادية كبيرة وخاصة في الحواضر الكبير مثل: بسكرة ورقلة، والأغواط، لكن الفوضى السياسية في الصحراء أثرت على الحياة المعيشية فيها؛
- تعددت التعاملات الإقتصادية في الصحراء الجزائرية بين نظام المقايضة والنظام النقدي الذي أوجد العديد من العملات؛

[1] أحمد بن ناصر الدرعي: **المصدر السابق**، ص132.

- يعتبر الكرم أحد الصفات الحميدة المتأصلة في المجتمع الصحراوي، حيث نقلت الرحلات الكثير من صوره في الحواضر الصحراوية، فالاستقبال لحجاج بيت الله كان كبيرًا، وكانت تغمره مشاعر فياضة صورها الرحالة سوءًا في الحواضر أو البوادي؛
- عانت الصحراء الجزائرية كما هو الحال كامل الصحراء الكبرى ومنطقة الحجاز من ظاهرة اللصوصية التي كانت تؤرق الحجاج فاشتهرت قبائل بتلك الظاهرة؛
- أثرت الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية بالضرورة عن الحياة الثقافية فأثرت على التعليم وعلى واقع التدين في الصحراء الجزائرية؛
- اشتهرت بعض الحواضر بالتعليم الديني فكانت قطب محلي انكب عليه العديد من الأشخاص ودرسوا الفقه صغارًا وكبارًا؛
- ظهرت الكثير من الأساطير والخرافات على يد متصوفة مبتدعون ومرابطين سيطروا على الحياة الدينية والثقافية لسكان الصحراء.

خاتمة

لقد تبين من هذه الدراسة الموسومة بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م) أن الصحراء الجزائرية كانت طريقا مهم لقوافل الحجيج، سواءً القوافل الجزائرية المنطلقة من الحواضر الصحراوية، أو المغربية المنطلقة من فاس أو مراكش، تافيلالت جنوب المغرب، أو حتى القوافل الحجية الآتية من موريتانيا أو ما يسمى الركب الحج الشنقيطي، فهذه الأركاب المختلفة المارة بالصحراء الجزائرية خلقت صور، ومن خلال كتابات الرحالات يمكن على ضوئها أن نؤرخ للمنطقة.

وبناءً على الفصول الثلاث التي عرضنا فيها تباعا ما تضمنته من مجريات وشروح واستنباطات، توصلنا إلى استخلاص النتائج التالية:

- تعتبر الرحلات الحجازية مصدر مهم لكتابة التاريخ، فهي تعتبر من أهم المصادر التاريخية التي تزخر بكثير من الأخبار بمختلف مضامينها.
- نقلت لنا الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية مادة غزيرة ومتنوعة تساعد في كتابة التاريخ المنطقة، وخاصة مع غياب الكتب التاريخية التي كتبت عن المنطقة في القرنين (11-12هـ/17/18م).
- يعتبر الرحالة رجال دين من نمط ثقافي مغاربي، وهم رجال ثقات، قاموا برحلة إلى الحج عبر الصحراء الجزائرية مرات عدة، فالصور التي نقلوها تضاهي الواقع المعاش، وما نقلوه لنا ساعد ذلك على كتابة تاريخية تحذو بمصداقية إلى حد ما.
- كشف الرحالة لنا الطرق والمسالك التي تسلكها القوافل الحجية في الصحراء الجزائرية فأعطونا مميزات وصعوبات كل طريق، وكذا معاطن المياه وأنواعها بين أجاجتها وحلاوتها.
- كشفت لنا الفصل الذي تمر به الرحالات الحجازية التي كانت في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع، ما عدا رحلة أحمد بن ناصر الدرعي التي كانت في فصل الصيف، إضافة إلى عدد أيام التي قطعتها الرحالات الحجازية المغربية المارة بالصحراء الجزائرية تمثلت في 81 و84 يوم

لطريق الجنوبي الصحراوي و38 إلى 40 يوم لطريق العرضاني الأوسط، كما أن المسافة التي يقطعها الركب الشنقيطي المار بالصحراء الجزائرية تقدر 74 يوم؛

- أما فيما يخص الجانب السياسي فنقلت لنا الرحلات الحجازية صورة متباينة من أنظمة الحكم في الصحراء الجزائرية.
- تباينت الأوضاع في الصحراء الجزائرية بين سياسية وإقتصادية واجتماعية وثقافية وهذا التباين بدوره نجده من حاضرة إلى حاضرة في الأوضاع السياسية.
- شهدت الصحراء العديد من أنظمة الحكم سواءً كانت نظامية مثل التبعية للعثمانيين في الجزائر المتمثلة في: ورقلة، تقرت، الأغواط وبني ميزاب، وهذا في إطار الحملات، أو التواجد العسكري السعدي والعلوي بالنسبة لحاضرة توات، أما بعض المناطق فخضعت لحكام محليين لا تخضع لأي سلطة كانت مثل بعض المناطق في الساورة وبعض المناطق في جبال لعمور، حيث أخذت هذه المناطق تسمية أرض السيبة.
- وتحتوي الصحراء الجزائرية على مقومات إقتصادية كبيرة وخاصة في الحواضر الكبير مثل: بسكرة ورقلة، والأغواط، لكن الفوضى السياسية في الصحراء أثرت على الحياة المعيشية فيها.
- تعددت التعاملات الإقتصادية في الصحراء الجزائرية بين نظام المقايضة والنظام النقدي الذي أوجد العديد من العملات.
- يعتبر الكرم أحد الصفات الحميدة المتأصلة في المجتمع الصحراوين حيث نقلت الرحلات الكثير من صوره في الحواضر الصحراوية، فالاستقبال لحجاج بيت الله كان كبيرًا، وكانت تغمره مشاعر فياضة صورها الرحالة سوءًا في الحواضر أو البوادي.
- عانت الصحراء الجزائرية كما هو الحال كامل الصحراء الكبرى ومنطقة الحجاز من ظاهرة اللصوصية التي كانت تؤرق الحجاج فاشتهرت قبائل بتلك الظاهرة.
- أثرت الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية بالضرورة عن الحياة الثقافية فأثرت على التعليم وعلى واقع التدين في الصحراء الجزائرية.

- اشتهرت بعض الحواضر بالتعليم الديني فكانت قطب محلي انكب عليه العديد من الأشخاص فدرسوا الفقه صغارًا وكبارًا.
- ظهرت الكثير من الأساطير والخرافات على يد متصوفة مبتدعون ومرابطين سيطروا على الحياة الدينية والثقافية لسكان الصحراء.

الملاحق

الملحق رقم (01): الطريق الذي سلكه ابن المليح في ذهابه إلى الحج (1630-1633م)[1].

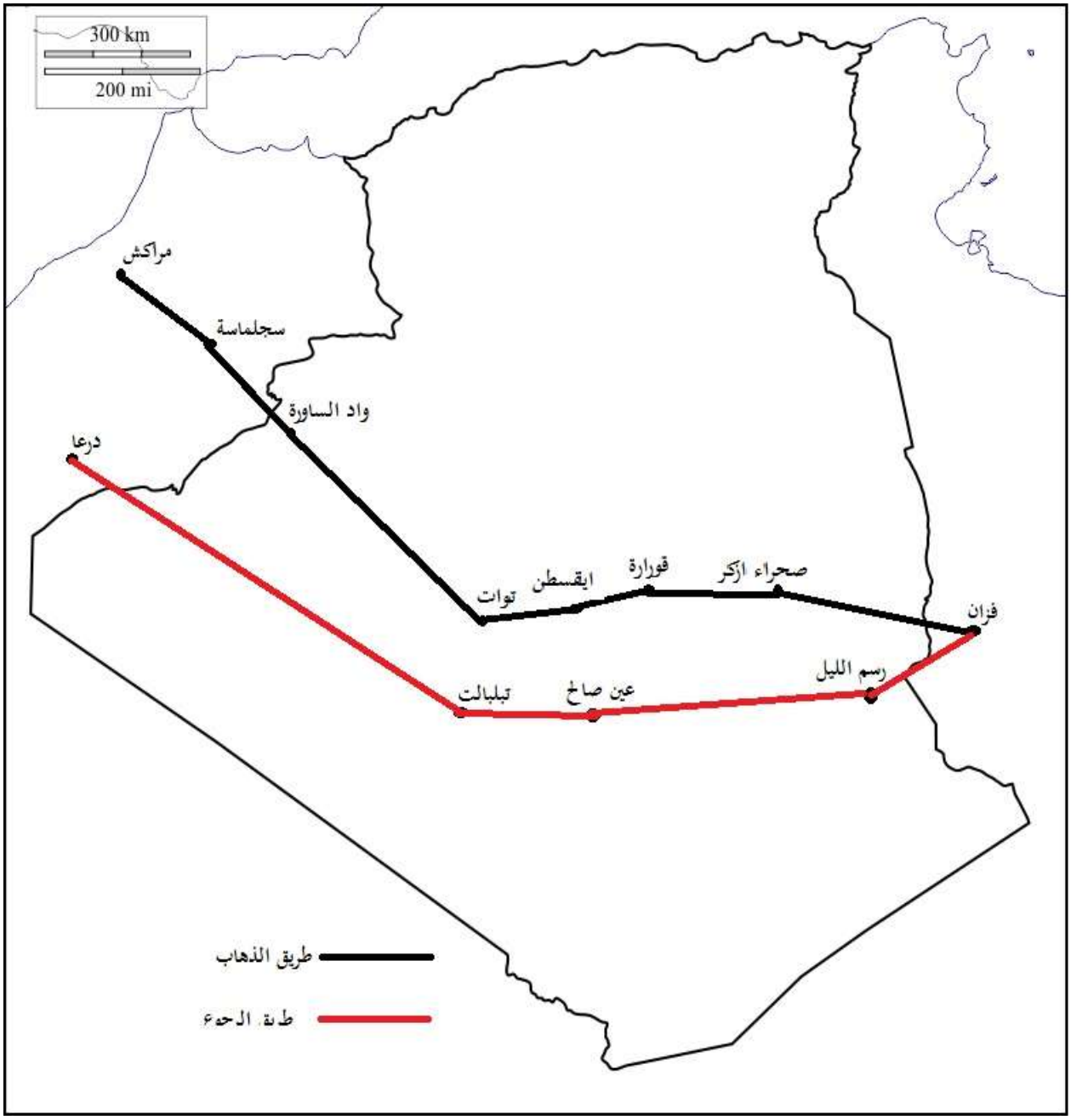

[1] من إعداد الطالب اعتمادا على رحلة ابن مليح.

الملحق رقم (02): الطريق الذي سلكه أبو سالم العياشي[1].

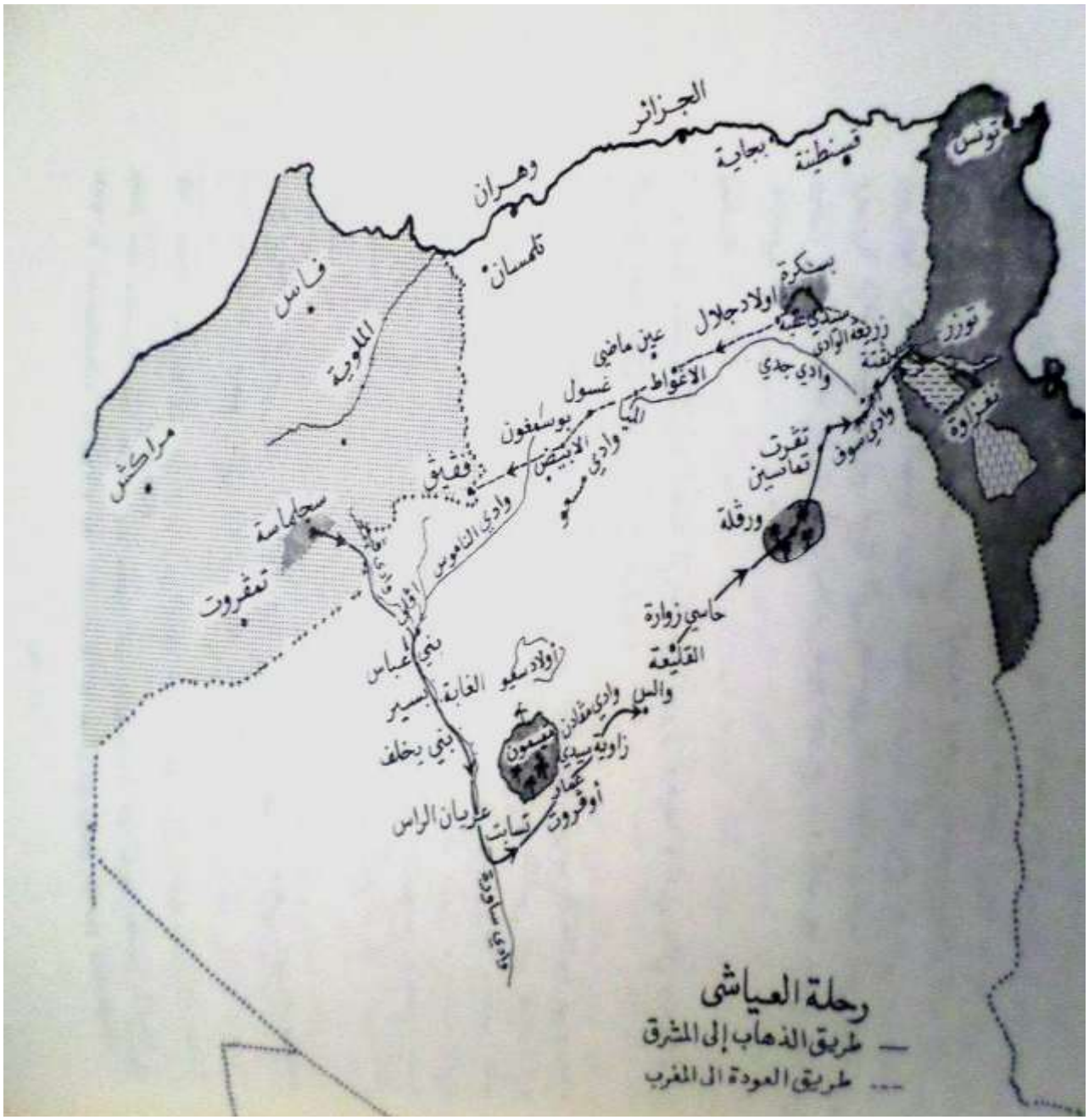

[1] مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربة، **المرجع السابق**، ص:94.

الملحق رقم (03): الطريق **العرضاني الأوسط (المار بالسهوب الجزائرية شمال الصحراء الجزائرية)**[1].

[1] مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربية، **المرجع السابق**، ص:94بالتصرف

الملحق رقم (04): طريق الصعاليك الذي سلكه ابن أبي محلي[1].

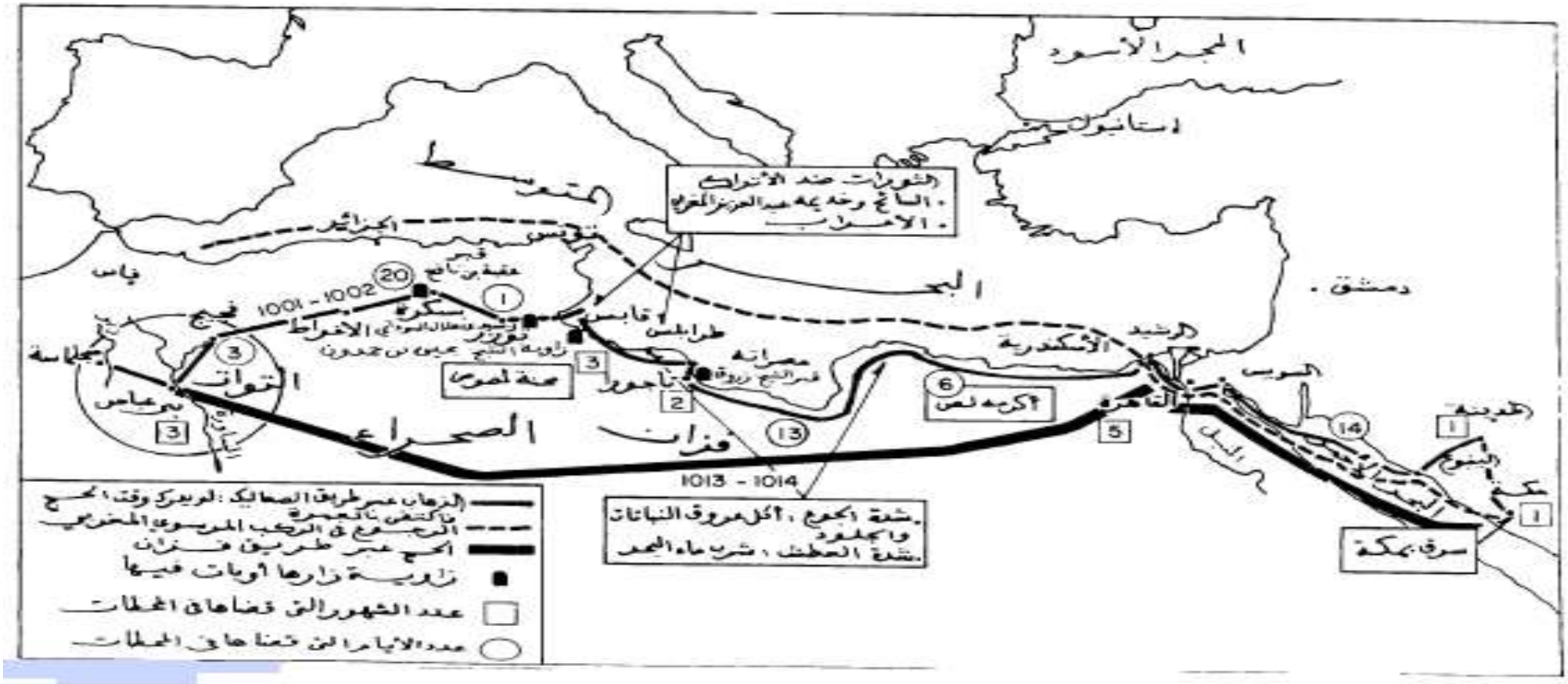

[1] عبد المجيد قدوري: المرجع السابق، ص:100.

الملحق رقم (05): طريق الركب الشنيقيطي الذي سلكه الحاج البشير البرتلي[1].

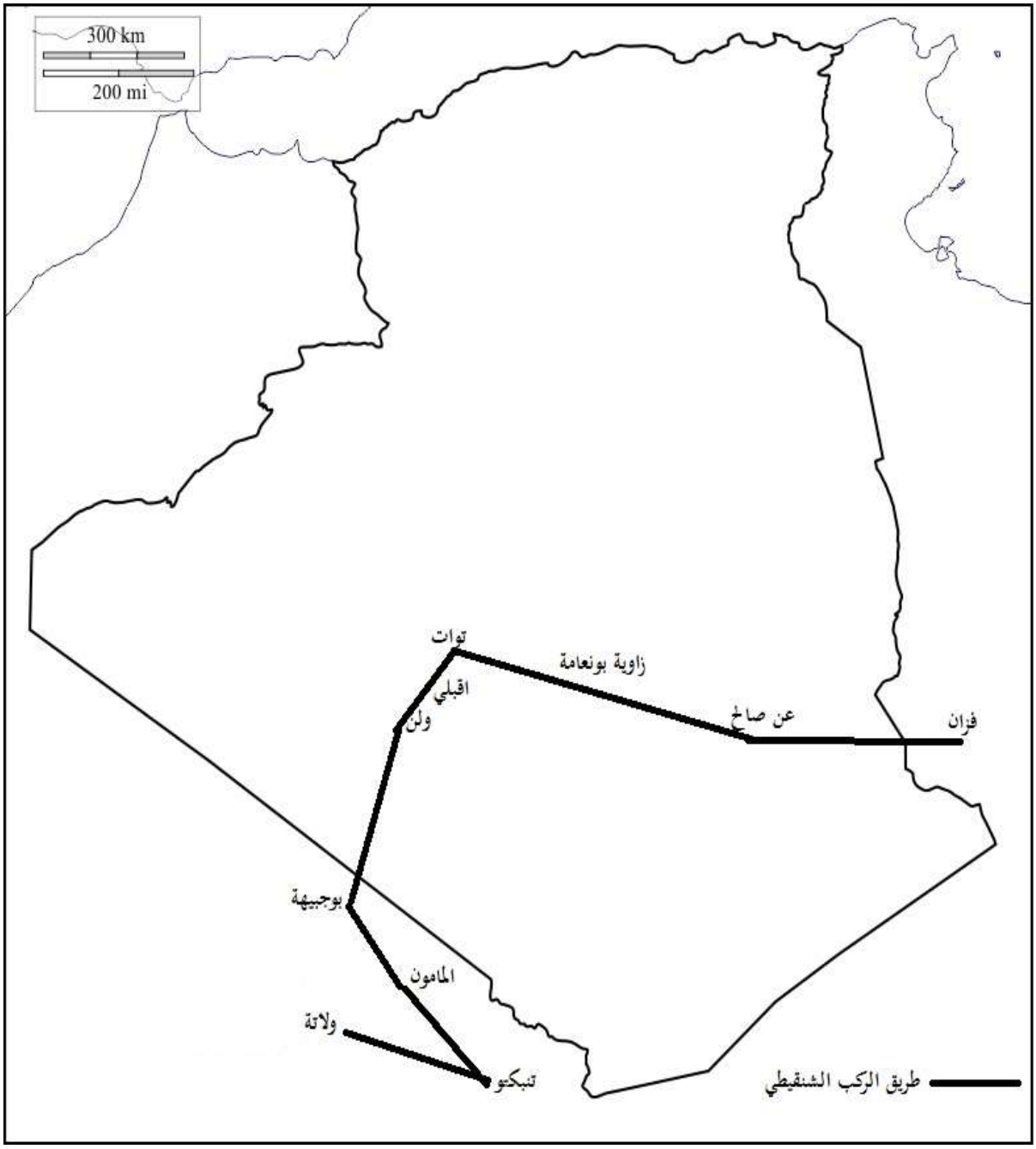

[1] من إعداد الطالب اعتمادا على رحلة الحاج البشير البرتلي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أ) الكتب:

1. ابن مليح: **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب وإلى منتهى الآمال والمآرب سد الأعاجم والأعارب** ، تح: محمد الفاسي، طبع وزارة الدولة مكلفة بالثقافة والتعليم، 1968م.

2. أبي سالم العياشي: **رحلة العياشي الحجية الصغرى الموسومة بـ تعداد المنازل الحجازية أو التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز 1068هـ/1658م**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.

3. أحمد الحضيكي السوسي أبي عبد الله محمد: **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2011.

4. أحمد الحضيكي محمد بن: **طبقات الحضيكي**، تق وتح: أحمد بومزكو، ج1، دار النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

5. الأغواطي ابن الدين: **رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2001م.

6. بلعالم باي محمد: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام وأثار المخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، ج1، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005م.

7. بن خلدون عبد الرحمان: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر للطباعة، لبنان، ج6، 2000م.

8. التلمساني ابن الهطال: **رحلة محمد باي الكبير إلى باي الغرب الجزائري الجنوب الصحراوي الجزائري**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.

9. الحسين بن محمد الورثيلاني: **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.

10. خالد الناصري أبو العباس أحمد: **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**، ج7، تح: محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

11. الدرعي محمد بن ناصر أبو العباس أحمد: **الرحلة الناصرية (1709–1710م)**، تح: عبد الحفيظ ملوك، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011م.

12. عبد السلام الناصري أبي عبد الله محمد: **الرحلة الناصري الكبرى**، تح: المهدي الغالي، ج1، دار ابن الرقراق لطباعة والشر، ط1، المغرب، 2013م.

13. الفاسي محمد الطيب: **رحلة ابن الطيب من فاس على مكة المكرمة**، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار الغرب، دمشق، سوريا، 2014م.

14. الفشتالي عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1972م.

15. قدوري عبد المجيد: **ابن أبي محلى الفقيه التأثر ورحلته الأصليت الخريت**، د ط، منشورات عكاظ، الرباط، 1991م.

16. مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تح: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، المغرب، ج3، 1989.

17. المجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمارتية**، تح: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل، مركش، المغرب الأقصى، 1994م.

18. محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور.** تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م.

19. الهلالي السجلماسي أبي العباس: **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، در وتح: محمد بوزيان بنعلي، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، 2011م.

20. الوزان الحسن: **وصف إفريقيا**، ت: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

ب) **المعاجم والقواميس:**

1. ابن منظور الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، ج11، بيروت.
2. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2008م.

ثانيًا: المراجع

أ) **الكتب:**

1. باعثمان عمرو عبد العزيز: **طرق الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة (1214هـ/1800م)**.
2. بلحميسي مولاي: **الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م.
3. بن سالم الصالح: **الحواضر الصحراوية الجزائرية خلال القرن 11هـ/17م من خلال الرحلة المغربية العياشي أنموذجا**، من كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغاربة، الناشر الجامعي الجديد، تلمسان الجزائر، 2018م .
4. بن عمر العدواني محمد بن محمد من أهل القرن الحادي عشر هجري، **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1996م.

5. بن منصور عبد الوهاب: **أعلام المغرب العربي**، ج6، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1998م.
6. بوزياني الراجي: **عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، دار الأمل للدراسات، ط2، الجزائر، 2009م.
7. بوكراع النظمي محفوظ بن ساعد: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.
8. التازي عبد الهادي: **رحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة**، دار الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، 2005م.
9. جعفري أحمد أبي الصافي: **أبحاث في التراث من تاريخ توات**، منشورات دار الحضارة، ط1، 2001م.
10. حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، ج5، 2011م.
11. حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، دار الحكمة، ج2، 2007م.
12. حفناوي بعلي: **الرحلات الحجازية المغاربة (المغاربة الأعلام في البلد الحرام)** ، دار اليازوري، الأردن، 2018م.
13. حنفاوي بعلي: **صحراء الجزائر الكبرى في ضلال اللوحات وفي الكتابات الغربية**، دار دروب لنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2016م.
14. حنيفي هلايلي: **صورة التصوف السني في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال سيرة عبد الرحمان الأخضري، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
15. سعد الله أبو القاسم: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.
16. سعيفات تومي: **سكان تدكلت القدماء واتكال على النفس**، دار هومة، الجزائر، 2005م.
17. صيد عبد الحميد: **أبحاث في تاريخ بسكرة والزيبان**، د د ن، 2000م.

18. عبّاد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830م**، دار هومة، الجزائر، 2012م.

19. عراز فوزية: **مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية (الرحالات الحجازية**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجامعة الإفريقية العالمية، السودان، 2016م.

20. عواطف بنت محمد يوسف نواب: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**، دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2008م.

21. العوامر إبراهيم محمد الساسي: **الصروف في تاريخ الصحراء واد سوف**، تع: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، دار تالة، طرابلس، ليبيا، 2007م.

22. عوض الله الأمين: **تجارة القوافل من الغرب والسودان الغربي وأثرها الحضارية من القرن السادس عشر ميلادي**، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984م.

23. الغاشي مصطفى: **الرحلة المغربية والشرق العثماني (محاولة رسم في بناء الصورة)**، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.

24. فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

25. القرطبي محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تح: محمد علي بيضون، ج2، ط10، بيروت، لبنان، 1988م.

26. قمبر محمود: **الرحلة العلمية وقيمتها التربوية**، قسم أصول التربية، د ط، قطر، د ت.

27. قنديل فؤاد: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، مدينة نصر، مصر، 2002م.

28. محمد صالح حوتية: **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، ج1، ط1، 2007م.

29. محمد ماكامان: **الرحلات المغربية (قXI– XIIهـ/ XVII – XVIIIم)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس اكدال، ط1، الرباط، المملكة المغربية، 2014م.

30. محمود علي عامر ومحمد خير الدين فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبيا)**، دار الشرق، جامعة دمشق، سوريا، 2000م

ب) أطروحات الدكتوراه:

1. بادشاه حافظ محمد: **الحجاز في أدب الرحلة العربي**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: كفايت الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان، 2011/2007م.

2. بكاري عبد القادر: **منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثمانية (1519–1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: د/ دحو فغرور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015م.

3. بناهض عبد الكريم: **القيمة اللغوية للرحلات المغاربي الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي "رحلة العياشي أنموذجًا"**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف د: عبد الحكيم والي داده، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، 2018/2017م.

4. بوسعيد أحمد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518–1830م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، الجزائر، 2018م.

5. خليفة عبد القادر: **تحولات البني الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في المدن الصحراوية لمدينة تقرت (وادي ريغ)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علم الاجتماع، إشراف: عبد الرحمان برقوق، جامعة بسكرة، 2011م.

6. دحاج فاطمة: **مجتمع الأغواط خلال القرن (13هـ/19م) من خلال الكتابات الفرنسية "دراسة تاريخية"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد عب الرؤوف ثامر، جامعة الواد، 2019/2018م.

7. روباش جميلة: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف: محمد بن لخضر فورار، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014م.

8. شافو رضوان: **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجًا (1844–1962م)**، أطروحة دكتوراه على في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2012/2011م.

ج) رسائل الماجستير:

1. بوسعيد أحمد: **توات من خلال نوازل الجَنْتورِي في القَرنِ 12هـ/18م"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، جامعة أدرار، 2012/2011م.

2. عباز الأزهاري:**نظام المشيخة في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603–1884م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عاشوري قمعون، جامعة الوادي، 2014/2013م.

3. التلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي في الجزائر (الحكم العثماني– الأمير عبد القادر– الإدارة الاستعمارية) (1782–1900م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، إشراف: 2003.

4. حفيان رشيد: **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (11–12هـ/17–18م)** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. خليفة حماش، جامعة قسنطينة، 2014م.

5. زهير قزان: **حاضرة توات المالكية: "أعلامها، نوازلها، وخصائصها"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، 2011م.

6. حساني عثمان: **البيئة الاجتماعية والإقتصادية لصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين (18–19م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: بن يوسف سليماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2006م.

7. دحماني منى: **قصر بوسمغون بولاية البيض "دراسة أثرية تحليلية"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، إشراف علي حملاوي، 2005/2004.

د) مذكرات الماستر:

1. برداع زوبيدة وعيساوي فتيحة: **أدب الرحلة في الجزائر رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب والحال أنموذجًا**، إشراف: ا.د. ليلى مهدان، جامعة الجيلالي بونعامة – كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2016/2015م.

2. بن عامر هجيرة: **الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي خلال القرن 12هـ/18م، دراسة مقارنة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فاتح لعمري، جامعة المسيلة، 2018/2017م.

3. تومي إيمان ، خديجة بوصبع صالح، **تجارة القوافل للجنوب الشرقي الجزائري مع كل من تونس وليبيا أواخر القرن 19 ومنتصف القرن 20**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، إشراف: إمام بريك، جامعة الوادي، 2017/2016م.

4. تيطوم ابتسام: **صورة البلاد العربي من خلال نماذج من الرحلات الجزائرية خلال العهد العثمانية (1519–1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، إشراف: د/ أبو بكر الصديق حميدي، علية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2019/2018م.

5. حجي محمد: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي**، مذكرة لنيل شهادة الدراسات العليا، كية الآداب، الرباط، المغرب، 1963م.

6. ذكار أحمد: **حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من (1000 هـ إلى 1301هـ/ 1591 إلى 1883م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2010/2009م.

7. غضبان فاطمة الزهراء: **مدن إقليم الزاب من خلال الكتب الجغرافية (النشأة والتطور والاندثار ق8هـ/14م)**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف: جمال مجذوب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م.

8. فعفاع أحمد: **المدينة العربية في كتب الرحالة الفرنسيين "تلمسان عند بول بورد أنموذجًا"**، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم الأدب العربي، إشراف: د. نجاة بوزيد، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم الجزائر،2014/2015م.

9. قرود امحمد: **الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاثة نماذج: أحمد المقري، عيسى الثعالبي، يحي الشاوي**، د. مختار حساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2010/2009م.

10. مغربي نجاة: **توات من خلال كتابات الرحالة المغاربة ما بين القرنين 11–13هـ/17–19م**، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2017م.

11. نجاة بن فاطمة ونجاة ناجي: **كتابات الرحالة حول الجزائر في الفترة الحديثة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد بن معيزة، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2018/2017م

12. وصيف عثامين كلثوم: **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره (1514–1575م)**، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: معاذ عمراني، جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2018/2017م.

هـ) المجلات:

1. ذكار أحمد: **مدينة ورقلة التسمية والتأسيس**، مجلة العلوم الإنسانية، ع17، سبتمبر، 2014م.

2. أحمد علي محمد: المفهوم اللغوي والإصطلاحي للسيمياء العربية، **مجلة** العميد، جامعة بغداد، ع07، 2013م.

3. بن جبور محمد: الوضع الصحي بالجزائر في أواخر العهد العثماني، **المجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة سيدي بلعباس، مج5، ع2، 2018م.

4. بن صغير حضري يمينة: **سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ**، مجلة الواحات، مج7، ع2، 2014م.

5. بن صغير حضري يمينة: منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الغربية (الحقبة الاستعمارية) ، **مجلة الواحات**، جامعة غرداية مج10، ع2، 2017م.

6. تياقة صديق: الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وكيهلة الاجتماع البشري في القصر من خلال نظام الخراصة (قراءة سوسيولوجية لمجتمع توات، أدرار)، **المجلة الخلدونية**، مج06، العدد01، 2017م.

7. بن قومار جلول: هاجس الأمن عند ركب الحج المغاربة، **مجلة الحوار المتوسطي**، سيدي بلعباس، مج8، ع2، ديسمبر 2017م.

8. دوامي جلول عبد القادر: أعلام آداب الرحلات المغربية (رحلة الأمين الشنقيطي إلى الحج)، **مجلة تاريخ العلوم**، جامعة الجلفة، ع06، 2017م.

9. بوزوادة حبيب: **المضامين العلمية في الرحلات الحجازية الجزائرية -رحلة الورثيلاني أنموذجاً**، في مجلة آفاق الفكرية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ع4، مارس 2018.

10. رشيد حسان: اللصوصية في إيالة الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 17 و18 قراءة في الصادر المحلية، **مجلة ليكسوس، المغرب**، ع05، أوت 2016م.

11. حمزة بكري: "**ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسن الورتلاني وعبد الرحمان المجابي**"، في مجلة عصور الجديدة، مج10، ع1، جامعة وهران، مارس 2020م.

12. التوزاني خالد: الأمن الروحي في الرحلات الصوفية المغربية، **مجلة تاريخ العلوم**، جامعة فاس، المملكة المغربية، ع04، جوان 2016م.

13. شترة خير الدين: القيم الاجتماعي بإقليم توات من خلال أدب النوازل (نوازل عبد الرحمان الجنتوري أنموذجًا)، **في مجلة التراث**، جامعة الجلفة، مج05، ع17.

14. مقدم رشيد: منطقة الأغواط من كتابات الرحالة الجغرافية خلال القرن 19، **المجلة الجزائرية لمخطوطات**، جامعة الجزائر، مج14، العدد01، ماي 2019م.

15. زكي لامعة: "**الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي (مفهوم الدوافع والأنواع)**"، مجلة كان للدراسات التاريخية، المغرب، ع22، ديسمبر 2013م.

16. آل سيد الشيخ سعاد: جوانب من الأوضاع السياسية والإقتصادية والثقافية بالجزائر العثمانية من خلال كتابات بعض الرحالين السابقين، **في مجلة التراث**، جامعة الجلفة، ديسمبر2018م، ج01، العدد29.

17. عمراني سعاد: الوضع الثقافي في منطقة وادي ريغ النصف الأول من القرن العشرين، **مجلة البحوث والدراسات**، جامعة الوادي، ع17، 2014م

18. شريدي سعيد: دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال العهد العثماني، **في مجلة منتدى الأستاذ**، الجزائر، جوان 2016م، العدد18.

19. بوعزة سهام: التعريف بمنطقة الزيبان من خلال الدراسات التاريخية والجغرافية، **مجلة دراسات**، جامعة الأغواط، مج10، ديسمبر 2018م.

20. شاطر محمد: أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل الحديثة، **مجلة مواقف**، جامعة معسكر، ع60، ديسمبر، 2014م.

21. لعرج الشيخ ، دحو فغرور: انتشار الطريقة التيجانبية في بيلك الغرب في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، **مجلة الحضارة الإسلامية**، وهران، ع29، جوان 2016م.

22. بوساليم صالح: **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م**، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، وهران، ط1، 2019م.

23. بوسليم صالح ومحمد الزين: **ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني"**، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع9 و10، سبتمبر 2015م.

24. الحاج صدوق: "**أسباب الرحلات المغاربية للحجاز إبان القرن 2هـ/18م**"، في مجلة المعارف للبحوث، جامعة الجزائر، ع10، 2017م.

25. تياقة الصديق: العمارة ودورها في الاستيطان البشري وهيكله البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة قراءة سوسيولوجية لمجتمعات توات في بلاد القصور أدرار، **مجلة الخلدونية**، جامعة تيارت، مج06، ع01.

26. حصام صورية: دور إقليم توات في توطيد العلاقات الإقتصادية والثقافية بين إيالة الجزائر والمغرب، **مجلة عصور**، جامعة وهران، مج17، ع01، الجزائر، 2018م.

27. بوسعد الطيب: الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحالة المغربة خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجًا)، **مجلة الواحات**، جامعة غرداية، ع15، 2011م.

28. دباح عائشة: "**الرحلة العلمية وأثرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات رحلة حسين الورتلاني أنموذجا**"، مجلة قضايا تاريخية، جامعة الجزائر، ع8، 2017م.

29. حميمي عبد الحفيظ: من صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، **مجلة العبر للدراسات التاريخية**، جامعة تيارات، مج3، ع01، جانفي 2020م.

30. بلاغ عبد الرحمان: **الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب**، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية في الجزائر، العدد04، جوان2013م.

31. وصفي عبد العزيز: فقه النوازل عند الفقهاء المالكية، **مجلة شهاب**، جامعة الوادي، مج4، ع4، ديسمبر 2018م.

32. بكاري عبد القادر: "**حسين الورتلاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، مجلة الناصرية للدراسات، جامعة معسكر، مج8، ع1، جوان 2017م.

33. صحراوي عبد القادر: "**الورتلاتي مقدمة عن رحلته وملاحظات عن فضل علم التاريخ والأخبار**"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع9 و10، أفريل 2019م.

34. بناهض عبد الكريم: "**البنية الزمنية للرحلة العياشية ماء الموائد**"، في مجلة إشكالات، ع12، معهد الآداب واللغات، مركز الجامعي تمنغست، الجزائر، ماي 2017م.

35. بناهض عبد الكريم: "**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال رحلة العياشي**"، في مجلة الذاكرة، ع10، دامعة قاصدي مرباح، ورقلة، يناير 2018م.

36. عزوق عبد المؤمن: الأحاديث الواردة في نوى خالد بن سنان العبسي جمعا ودراسة، **مجلة المعيار**، ع48، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2019/09م.

37. عجناك بشي يمينة: **أدب الرحلة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن 18م**، نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار نموذجاً، مجلة بحوث الوادي، ع11، 2017م.

38. رودي عدنان: **"بلاغة ووصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورتلاني الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"** ، مجلة الخطاب والتواصل، المركز الجامعي، عين تموشنت، ع1، 2018م.

39. سراح عمار: **صورة الدولة العثمانية في الرحلات المغربية خلال القرن 18م رحلة ابن عثمان المكانسي أنموذجًا**، في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج06، ع13، الجزائر، 2018م.

40. طالبي عمار: عبد الرحمان الأخضري حياته وأعمال، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع2، قسنطينة، ماي 1987م.

41. بن قايد عمر: منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي (1823/1239م) قراءة إقتصادية، **المجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج09، ع01، 2018م.

42. بن قايد عمر: منطقة الأغواط وما جورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي (1239هـ/1823م) قراءة اجتماعية ثقافية، **المجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية**، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مج9، ع1، جوان 2018م.

43. بن قايد عمر ، صالح بوسليم: الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية، **مجلة الباحث للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة ورقلة، ع21، ديسمبر 2015م.

44. بلاعدة العمري: **"الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورثلانية أنموذجًا"**، في مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، ع2، الجزائر، 2016م.

45. كعوان فارس: ظاهرة اللصوصية وقطع الطريق بمنطقة سطيف من اللصوص السلب والنهب إلى ظهور اللصوص الشرفاء أواخر القرن 19، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة سيدي بلعباس، مج10، ع03، ديسمبر 2019م.

46. بلهواري فاطمة: "**وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي**"، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، مج14، ع2، ديسمبر 2019م.

47. بكوشفافة: الهجرات الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال (05هـ/11م) ، **مجلة القرطاس**، جامعة تلمسان، ع67، جانفي 2018م.

48. قاضي فتيحة: ورجلان وأثرها في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي ما بين القرن 2-3هـ، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، جامعة تيارت، مج6، ع1، جانفي 2020

49. الأحمر قادة و عطلاوي عبد الرزاق: **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية (1913م-1954م)**، في مجلة آفاق فكرية، مج03، ع07، الجزائر، 2017م.

50. قادة الدين: أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية، **في مجلة قضايا تاريخية**، العدد7، جامعة الجزائر، 2017م.

51. منصورية قدور: دور قبيلة كنتة في تاريخ توات، **مجلة القرطاس**، جامعة تلمسان، ع7، جانفي 2018م.

52. كعبوش بومعين: طريق الحج الصحراوي المغربي من خلال رحلة ابن مليح، **مجلة دراسات وأبحاث**، جامعة الجلفة، مج12، ع1، جانفي 2010م.سهام بومعزة: دراسة المخطوط:

رحلة حجية لعام 1188-1189هـ/1774-1775م، عودة تأليف عبد الرحمان التلاني، **مجلة المخطوطات الثقافية**، مج13، ع01، مارس 1018م.

53. سمسوم لطيفة: الأهمية الإقتصادية لإقليم الزاب، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، جامعة وهران، ع15، 2016م.

54. رمرم محفوظ: الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية، **في مجلة الحوار الفكري**، جامعة بشار، 2008م، العدد11.

55. الفقيقي محمد الكبير: الدور الاجتماعي والإقتصادي للقوافل التجارية الحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة، **مجلة دراسات**، الجزائر، ديسمبر 2015، مج04، ع02.

56. الفقيقي محمد الكبير: حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث، **مجلة مواقف للبحوث والدراسات**، ع09، ديسمبر 2014م.

57. برشان محمد: **الصحراء في أبحاث الشيخ المهدي بوعبدلي (إقليم توات نموذجًا)**، في مجلة دراسات؟، مج03، ع01.

58. بن معمر محمد: علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، **مجلة الحضارة الإسلامية**، جامعة وهران، مج09، ع12، 2005م.

59. جودي محمد: الخصائص المعمارية والفنية للمسكن التقليدي لصر ورقلة، **مجلة منبر التراث الأثري**، جامعة تلمسان، ع4، ديسمبر 2015م.

60. محمودي محمد: "**صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي**"، في مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، مج16، ع27، 2015م.

61. شرف: موسى "**أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرفي والهلالي نماذجًا**"، في مجلة قضايا تاريخية، ع07، الجزائر، 2007م.

62. بلحميس مولاي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي، **في مجلة الأصالة**، جامعة الجزائر، ع41، 1977م.

63. كلة نصيرة: التطورات السياسية في المغرب الأقصى (1640-1727م)، **مجلة القرطاس**، جامعة تلمسان، ع6، جوان 2017م.

64. دويدة نفيس: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، **مجلة إنسانيات**، جامعة وهران، عدد68، أفريل 2015م.

65. مزوع نور الدين: الرواية الشعرية في الشعر الصوفي عند فحول شعراء مدينة سيدي خالد، **مجلة أبحاث**،المركز الجامعي لمغنية ، ع04، ديسمبر 2019م.

66. طرطاق الوردي: أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية "إقليم وادي ريغ أنموذجًا"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، جامعة المسيلة، ع32، جوان 2015م.

67. زوهري وليد: **"أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة دراسة وصفية تحليلية"**، في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع1، الجزائر، جوان 2012م.

و) الملتقيات:

1- جعفري مبارك: **التواصل العلمي بين منطقة توات بالجنوب الجزائري وحاضرتي ولاتة وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)**، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر والساحل الإفريقي بين القرني (16-20م)، المنعقد بومي 15-16 أكتوبر 2017م، بجامعة الجزائر.

2- المودن عبد الرحمان: **تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعدي للسودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث**، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مراكش، المغرب، 23-25 أكتوبر 1992م.

ثالثًا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Mario Vivaer : **Au sujet de towt Alger**, librairie Michel, Ruff, 1896.
2. Jean Lethiell : Ouargla cité Sahariennes, au déduit du XXE siècle, Paris, 1984.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: الرحلة وأهم الرحلات الحجازية في القرنين (11–12هـ/17–18م)

المبحث الأول: تعريف الرحلة **9**

أولاً: الرحلة في اللغة: **9**

ثانيًا: الرحلة في الاصطلاح: **10**

المبحث الثاني: أنواع الرحلات: **15**

أولاً: رحلة الحج: **15**

ثانيًا: رحلة طلب العلم: **15**

ثالثًا: الرحلة الإقتصادية: **16**

رابعًا: الرحلات الرسمية: **16**

خامسًا: الرحلة الاستطلاعية: **16**

المبحث الثالث: أهم الرحلات الحجازية في القرنين (11–12هـ/ 17– 18م) **17**

أولاً: الرحلة العياشية، (ماء الموائد): (1090هـ/1679م): **17**

ثانيًا: الرحلة الورثلانية: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لصاحبها حسين الورتلاني: ... **21**

ثالثًا: الرحلة الحجازية للحضيكي: **27**

رابعًا: رحلة أبو العباس الهلالي السجلماسي، المسماة (التوجه إلى بيت الله الحرام): **30**

خامسًا: الرحلة الناصرية لأحمد بن الناصر الدرعي **32**

سادسًا: رحلة ابن الطيب الشرقي (رحلة ابن الطبيب من فاس إلى مكة المكرمة): **35**

سابعًا: رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي (1239هـ/1823م): **37**

الفصل الثاني: الصحراء الجزائرية في القرنين (11–12هـ/ 17–18م)

المبحث الأول: المدن والحواضر الصحراوية الجزائرية : **40**

أولاً: توات **40**

ثانيًا: ورقلة 44
ثالثًا: واد ريغ: 47
رابعًا: إقليم الزاب 50
المبحث الثاني: الطرق والقوافل الحجية المارة بالصحراء الجزائرية في القرن 18/17م 52
أولاً: طريق الحج الصحراوي الجنوبي: 53
ثانيًا: لطريق العرضاني الأوسط (المار بالسهوب الجزائرية شمال الصحراء الجزائرية). 58
ثالثًا: طريق الركب الشنقيطي: 62
المبحث الثالث: أهمية الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية القرنين (11-12/ 17-18م) 65
أولاً: مياه الأودية من خلال الرحلات الحجازية: 65
ثانيًا: الآبار والعيون من خلال الرحلات الحجازية: 66
خلاصة الفصل 70
الفصل الثالث: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)
المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الصحراء الجزائرية خلال القرنين (11-12هـ/17-18م) 72
ثانيًا: حاضرة وادي ريغ ورقلة من خلال الرحلات الحجازية: 75
ثالثًا: منطقة الزاب (بسكرة): 78
المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية في الصحراء الجزائرية في القرنين 17 و18 من خلال الرحلات الحجازية. 81
أولاً: القطاع الفلاحي: 81
ثانيًا: الصناعة: 83
ثالثًا: التجارة: 84
رابعًا: المعاملات التجارية والأسعار في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية 87
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية في الصحراء من خلال الرحلات الحجازية في القرنين 1(11-12هـ/ 17-18م) 88
أولاً: كرم أهل الصحراء: 89
ثانيًا: ظاهرة اللصوصية في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية 90
ثالثًا: المرأة الصحراوية من خلال الرحلات الحجازية 92

رابعًا: الأوضاع الصحية في الصحراء الجزائرية 95
المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11–12هـ/ 17– 18م) 97
أولاً: التعليم واللغة العربية في الحواضر:..... 97
ثانيًا: العلماء والصلحاء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية 99
ثالثًا:الأضرحة والمزارات في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (17–18م) 101
خاتمة 108
الملاحق..... 111
قائمة المصادر والمراجع 117
فهرس الموضوعات 136
ملخص

ملخص:

يعتبر الخوض في الدراسات المحلية الخاصة بالصحراء الجزائرية في العصر الحديث نوع من المغامرة والمجازفة، لأن هذه الأخيرة تواجه الكثير من الصعوبات والعوائق التي تحول من أجل كتابة تاريخية للمنطقة، ولكن خوض في مثل هذه الدراسات تعتبر تعزيز ومساهمة ولو بالقليل في كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية.

فالصحراء الجزائرية ذلك الفضاء الواسع الذي أردنا التعريف به في فترة تكاد تنعدم فيها المصادر التاريخية التي تؤرخ للمنطقة في القرنين (11-12هـ/17-18م)، حيث جاءت الرحلات الحجازية لتميط اللثام حول الحياة في الصحراء وأعطتنا صورة غنية عن مختلف الأنشطة الإقتصادية والاجتماعية والتفاعلات الثقافية ونظرة عن الحياة السياسية فيها، فكان موضوع الدراسة "**الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية من خلال القرنين (11-12هـ/17/18م)**".

الكلمات المفتاحية: الرحلة، الرحلات الحجازية، الصحراء الجزائرية، المسالك الصحراوية، محطات الحجاج، معاطن المياه، الكرم، اللصوصية.

Abstract :

Delving into the local studies in the Saharan regions of modern Algeria is considered a kind of adventure and risk-taking because the latter is facing many difficulties and obstacles that prevent the writings of the region's history, but delving in such studies is considered to be a reinforcement and a contribution, even if little in writing the history of the Algerian desert.

The Algerian desert is the vast space that we wanted to introduce in a period where almost no historical sources exist dating back to the region in the two centuries (11-12 AH / 17-18 AD), where the Hijazi trips came to discreetly unveil the presence of life in the desert and gave us a rich picture of the various economic and social activities, cultural interactions and political life.So the subject of the study was " The Algerian Desert Through the Hijazi Trips During the Two Centuries (11-12 AH / 17-18 AD)."

Key words: Trip, Hijazi trips, Algerian desert, desert trails, pilgrims stations, water bodies, generosity, banditry.